نُورُ الإِنْصَافِ

فِي كَشْفِ ظُلْمَةِ الخِلَافِ

تأليف

العالم الجليل، والعلم الطويل، صاحب السماحة والسيادة

حضرة السيد محمد أبي الهدى أفندي الصيادي الرفاعي

تحقيق

عبد الرحمن بن جمال الزعين الحسيني

نور الإنصاف

في كشف ظلمة الخلاف

تأليف

العالم الجليل، والعلم الطويل، صاحب السماحة والسيادة

حضرة السيد محمد أبي الهدى أفندي الصيادي الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

نُورُ الإِنْصَافِ

فِي كَشْفِ ظُلْمَةِ الخِلَافِ

تأليف

العالم الجليل، والعَلَم الطوَّيل، صاحب السَّماحة والسِّيادة

حضرة السَّيد محمَّد أبي الهُدى أفندي الصَّياديّ الرفاعيّ

تحقيق

عبد الرَّحمن بن جمال الزَّعين الحُسينيّ

مقدمةُ المحقق

الحمدُ للهِ الذي أيَّدَ أولياءَه بأنوار معرفته، وأغاثَ عباده ببركات رحمته، وجعلَ في قلوب العارفين سُكنى طمأنينته، وأجرى على ألسنة الصادقين حِكمته، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الثناء الحسن في الدنيا والآخرة، هو المُنعم بلا انقطاع، والمُفيض بلا امتناع، جلَّ عن الشبيه والنظير، وتقدَّس عن المثيل والقرين، لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

وأُصلِّي وأُسلِّم على سيِّدنا ومولانا محمّدٍ رسولِ الله، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وشفيعِ الخلائق أجمعين، وخيرةِ الله من خلقه أجمعين، صلاةً تُحيي القلوبَ بنورها، وتشرحُ الصدورَ بسرّها، وتُزيلُ عن الأرواح رينَها ووزرها، صلاةً تملأ أقطار السموات والأرض، وتبلغُ ما شاء الله من الفضل والبركات، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والكرامات، وأتباعهم بإحسانٍ إلى يوم الميعاد.

أمّا بعد:

فقد كان الناسُ في القرونِ السالفة على صفاء الفطرة وسلامة الصدر، لا يكثرون الكلام، ولا يفجرون في الأصول والفروع الخصام، بل يقبلون ما ورد عن الشرع القويم بقلوبٍ صافيةٍ ونفوسٍ راضية، فلم يكونوا في حاجةٍ إلى كثرة الأدلة ولا إلى ردّ الشبهات، إذ كان نور الإيمان يغمر قلوبهم، وضياءُ الإسلام يملأ أرواحهم.

ثم لمّا أدركت الأمةُ عصوراً تفرّقت فيها المذاهب، وتكاثرت فيها الآراء، واشتدّت فيها الخصومات، ظهر من يُنكِر من الجهلة على مسائل في الدين هي من المسلمات عند أرباب العلم واليقين، بل يردها من غير نظر وبحث واستدلال، بمجرد أنها خالفت منهجه وهواه.

ومن أجل هذا، انتدب أرباب القلوب والعقول الفحول إلى كتابة الأدلة، صيانةً للعلم، وحمايةً للدين من الشبهات الطارئة عليه وعلى المسلمين، إذ قد كَثُرت في زماننا هذا الشبهات، وصار يتكلم في دين الله

من هبّ ودبّ، حتى ابتُلينا بمن يحضر دورةً شرعيةً في خمسة عشرَ يومًا، ثم يخرج للناس شيخا للإسلام، ومفتيا الأنام!، فيصبح يكفر هذا، ويفسق هذا، ويبدع، ويشرك هذا، وهذا في الجنة وهذا في النار، ولا يكتفي بالكلام على العلماء الأحياء فقط، بل يطعن بساداتنا العلماء الذين بذلوا حياتهم وأرواحهم فداءا للدين، فيقول عن الإمام السيوطي مثلا: أنه مشرك، وعن ابن حجر: عنده شركيات في كتابه «فتح الباري»، وعن الإمام النووي: جهمي ولا يعرف صفات الله!!.

فاختلط الحق بالباطل، وارتفعت أصوات الجهلة فوق أصوات الهداة، فكان لزامًا على أرباب العلم أن يؤلفوا في ردِّ الشبهات، وأن يدافعوا عن حياض الدين، وأن يُبَيِّنوا للأمة معالم الهُدى وصراط الحق المستقيم.

ومِن هؤلاء الأئمّة الأعلام، والرجال الكرام، فضيلةُ شيخ الإسلام، وقطبُ الأنام، السيدُ محمد أبو الهدى أفندي الصيادي رضي الله عنه

وأرضاه، الذي كان نِبراسًا للحق، وحِصنًا حصينًا للدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يثنيه عن نصرة الإسلام مُثبّطٌ ولا قائم.

فقد جهر بالحق في زمنٍ اشتدّت فيه شبهات المستشرقين والملحدين، ونافح عن عقيدة جده صلى الله عليه وسلم بالبرهان واليقين.

فقام رضي الله عنه بتأليف هذا الكتاب المبارك، مسلطًا فيه ضوء الحق على أهم المسائل التي كانت تثار في زمانه، مفصّلًا للحقائق، وموضحًا للشبهات، ودافعًا عن الدين وحصنه، فكان هذا المصنَّف سراجًا يهتدي به الباحثون، ومرجعًا يستنير به السالكون، ودرعًا يحفظ العقيدة من المتطفلين على علوم الشرع، وبياناً للمسائل الدقيقة بأسلوب بديع، معتمداً على القرآن الكريم والسنة المطهرة، مستعيناً بفهم وأقوال العلماء الربانيين، الذين مازجت أرواحهم بحب هذا الدين، وتفهمت عقولهم مسائل العلم بالتمكين.

فجاء هذا الكتاب درةً فريدةً، وجوهرةً خريدةً، يستقي الطلاب من منهله، ويغوص أرباب السلوك في بحره ولجحه.

ولقد عرف قدر هذا الإمام الهمام مولانا خليفةُ المسلمين، سلطانُ الإسلام والمسلمين، عبد الحميد خان الثاني –رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً–، فلما أن رأى شدّة غيرته على الدين، وصدق نصيحته للمسلمين، حتى قدّمه إليه، وجعله من خاصّة مستشاريه، إذ كان رحمه الله لا يقرّ في صدره شيء أعظم من نصرة الدين، وصيانة بيضة المسلمين. وكيف لا؟ وقد كان السلطان عبد الحميد مثالًا في الغيرة على الشريعة، والسهر على مصلحة الأمة، يدفع بيمينه كيد الأعداء، ويردّ بشماله شبه السفهاء، حتى صار شوكةً في حلوق المتربصين بالإسلام، ومِدادًا يكتب به التاريخُ سيرة الخالدين.

ولا يخفى على القارئ الكريم ما جرى في تلك الحقبة من مكايد ومؤامرات، فرفع الله تعالى الظلم عن دينه بفضل أوليائه، فجعل ردّ

ذلك على يد مولانا خليفة المسلمين، السلطان عبد الحميد –رحمه الله تعالى– في نصرة الإسلام والمسلمين، وفي صدّ مكايد أعداء الدين، وردّ كيد اليهود في فلسطين، وكان السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي ذراعه اليمين، وسنده المتين، ورفيق دربه في كل خطوه، فلا يتخذ أي قرار في شؤون الشريعة والدين إلا بعد مشاورته واستشارته، لعلوِّ علمه وثقته وصدقه في نصرة الدين.

فقد حمى الله شريعته ودينه بهؤلاء العلماء الربانيين، وكيف لا وقد جعل ذهاب العلم بذهاب العلماء؟

كما جاء في الحديث الشريف عن نبينا ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا، إنما ينزعه بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»[1].

وقد استخرتُ اللهَ سبحانه وتعالى على تحقيق هذا الكتاب المبارك، نصرةً للدين وإحياءً لتراث هذا الإمام العظيم، فانشرح صدري لتحقيقه والعمل عليه، فضبطتُ عباراته، وتخريج أحاديثه وآياته، وتبيان غريب ألفاظه، لما فيه من الخير للباحثين وطلبة العلم.

وقد جعلتُ له مقدمةً مناسبة، وأضفت فصلًا أخيرًا في ترجمته يبيّن وفاته، - مع أن أصل الترجمة موجود في المخطوط -، وبينتُ أقسام الكتاب، وأضفت له مصادر ومراجع، وفهرستُه لتكون نافذة واضحة للقارئ على محتواه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعني والمسلمين بهذا العمل، وأن يتقبّل مني صالح أعمالي، وأن يغفر لي ولوالدي وللمشايخ الذين تعلّمت على أيديهم، وأن يرزقني جوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والبرزخ والآخرة، وأن يجعلني ووالدي وأهلي وأقاربي وذريتي للمتقين إمامًا إنه الولي على ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ الميامين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق

أقسام الكتاب

- مقدمة المحقق.
- عملي في هذا الكتاب.
- ترجمة موجزة للمؤلف.
- تقاريظ العلماء لهذا الكتاب المبارك.
- مقدمة المؤلف.
- مقدمة في زبدة الأسئلة المطلوبة لهذا الكتاب.
- فصل في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء والأولياء والصالحين.

-مطلب في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل انتقاله.

-مطلب في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله.

-مطلب في التوسل بالأولياء والصالحين بعد انتقالهم.

- فصل في أدلة إطلاع الميت بحاسة سمعه وبصره وسماعه لكلام الحي.
- فصل في جواز نداء غير الله جل وعلا، وجواز نداء الميت والغائب.

- فصل في جواز وقوع الكرامة للأولياء بعد مماتهم.
- فصل في جواز الاستمداد من الأولياء الأحياء.
- فصل في أدلة زيارة قبور الأولياء للتبرك والتوسل بها.
- فصل في أدلة جواز استخدام السبحة.
- فصل في جواز الصلاة على السجادة.
- فصل في أدلة تقبيل يد الشيخ.
- فصل في تصرف الأولياء الأموات.
- فصل الكلام في الشطح.
- فصل الكلام في وحدة الوجود.

عملي في هذا الكتاب

- ضبط نصِّ الكتاب، كما هو في النسخة الحجرية التي طبعت في زمن المؤلف رضي الله عنه.
- وضع فصولٍ لكل سؤال من أسألة الكتاب، و وضعها بين معكوفتين [] .
- تقديم فصل تقاريظ العلماء في أول الكتاب.
- وضع فقرة أخيرة في ترجمة المؤلف وهي [وفاة المؤلف] لكي يتم هذا الفصل بها.
- ضبط بعض الكلمات.
- تعريف بعض المصطلحات المذكورة في الكتاب.
- وضع علامات الترقيم.
- تخريج الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.
- تخريج الأحاديث الشريفة وعزوها لأمهات كتب الحديث.
- ذكر القصص والحوادث من كتب السير.

- ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في الكتاب، بذكر مناقبهم، وألقابهم، وأسمائهم واسم آبائهم واسم أجدادهم، وذكر نسبتهم المكاني والمذهبي، وتاريخ ولاداتهم وسنة وفاتهم، وذكر المصادر، إن أمكن.
- وضع فهرسٍ للموضوعات في نهاية الكتاب.

❁ ❁ ❁ ❁


﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا
محمد الذى لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين
وعلى التابعين لهم وتابعيهم باحسان الى يوم الدين (أما بعد) فيقول العبد
المستضير بالله فى جميع الاحوال والمساعى محمد أبو الهدى ابن السيد
حسن وادى الصيادى الرفاعى كان الله له وللمسلمين انه الموفق المعين
قد سألنى اناس من المحبين أسئلة مختلفة أكثروا فيها القال والقيل
وخاضوا فافرط البعض وفرط البعض وأتوا بكثير وقليل فجمعت زبدة
مقاصدهم العريضة الطويلة ووضعت لها هذه الرسالة المختصرة
القليلة وسميتها ﴿نور الانصاف فى كشف ظلمة الخلاف﴾ والله أسأل
ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم سالكة من طرق الحق الطريق
القويم آمين ﴿مقدمة فى زبدة الاسئلة المطلوبة﴾ التى عقدنا لها
هذه الرسالة المرغوبة وهى هل تجوز الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه
وسلم

صورة عن المخطوط الحجري – الصفحة الأولى من أصل الكتاب

الشريفة وكتبه الجليلة المنيفة بعلم علماً يقيناً لا يصادفه شك انه تبوأ
من هذه الساحة الفيحاء أرفعها ومن تلك البحبوحة الشامخة أمنعها
جعلنا الله والمحبين من حزبه وأنصاره الممدودين باتباعه ببركات أسراره
آمين ﴿وأما الذين﴾ صرعهم الوهم فانتحلوا لهم مذاهب سموها وحدة
الوجود المطلقة و الاتحاد والحلول التنزلي وأمثال ذلك أبدوها آراء رأيهم
السقيمة صادموا فيها كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام
فهم في وهدة الخزي والخذلان بل وفي حضيض القطيعة والحرمان
نسأل الله العفو والعافية ونتوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى
ان يسلك بنا الطريق المستقيم وان يجعلنا من عباده الذين لا يصرفهم
عن امتثال أوامره صارف الاهواء انه البر الرحيم ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين
الطاهرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿يقول مؤلفها
كان الله له﴾ تمت ونجز بفضل الله جمعها في غرة رجب المبارك أحد شهور
سنة ست وثلثمائة وألف من هجرة صاحب المجد والعز والشرف
صلى الله عليه وسلم على يد مؤلفها غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين

قد تم بعون العليم الخبير طبع هذا الكتاب البهيج النضير المسمى
نور الانصاف في كشف ظلمة الخلاف تأليف فرع سلالة آل الرسول
صفوة بني الزهراء البتول من فضائله يقصر عنها انشائي واختراعي
حضرة السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي الرفاعي أطال الله بقاه
وأدام مجده وعلاه (هذا) وكان المباشر لطبعه واذاعة نفعه الحسيب
النسيب السيد محمد العيسى الرفاعي حفظه الله وقد أشرق تمام هذا
التمثيل في هذا الشكل الجميل الذي من نظر الى حسنه اكتفى بمطبعة
محمد أفندي مصطفى في أواخر شهر شعبان سنة ١٣٠٦ من هجرة
سيد ولد عدنان صلى الله عليه وعلى أصحابه وعلى كل من انتمى لجنابه

صورة عن المخطوط الحجري – الصفحة الأخيرة من أصل الكتاب

[ترجمة موجزة للمؤلف][1]

نسب المؤلف رضي الله تعالى عنه:

هو السيد محمد أبو الهدى أفندي، ابن السيد الشيخ حسن وادي أفندي، ابن السيد علي، ابن السيد خزام، ابن السيد علي الخزام، ابن السيد حسين برهان الدين، ابن السيد عبد العلام، ابن السيد عبد الله المبارك الزبيدي، ابن السيد محمود الصوفي، ابن السيد محمد برهان، ابن السيد حسن الغواص -دفين الشام-، ابن السيد الحاج محمد شاه الرندي، ابن السيد محمد خزام -دفين الموصل-، ابن السيد نور الدين، ابن السيد عبد الواحد، ابن السيد محمود الأسمر، ابن السيد عبدالرحمن شمس الدين، ابن السيد حسين العراقي، ابن السيد إبراهيم العربي، ابن السيد محمود، ابن السيد عبد الرحمن، ابن السيد قاسم نجم الدين، ابن السيد محمد خزام السليم، ابن السيد عبد الكريم، ابن السيد صالح عبد الرزاق، ابن السيد شمس الدين محمد ابن السيد صدر الدين علي، ابن

---

(١) هذه الترجمة من أصل النسخة، وسألحق بها وفاة المؤلف إن شاء الله.

القطب الجواد الغوث الكبير السيد أحمد الصياد رضي الله عنه، سبط مولانا الغوث الأكبر، والفرد الأشهر، سلطان الصالحين، وإمام العارفين، مقبِّل يد سيد المرسلين، شيخنا وسيدنا، السيد أحمد الرفاعي، رضي الله عنه، وابن السيد عبد الرحيم، ابن السيد عثمان، ابن السيد حسن، ابن السيد عسله، ابن السيد حازم، ابن السيد أحمد، ابن السيد علي، ابن السيد حسن، ابن السيد محمد المهدي، ابن السيد محمد أبي القاسم، ابن السيد الحسن، ابن السيد الحسين عبدالرحمن، بن السيد أحمد الصالح الأكبر، ابن السيد أبي محمد موسى الثاني، ابن السيد إبراهيم المرتضى، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن مولانا الإمام الحسين، شهيد كربلاء، ابن الإمام الأعظم، سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه، رزقه من سيدة نساء العالمين، بضعة سيد المرسلين، السيدة فاطمة الزهراء النبوية، رضي الله عنها، بنت خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، المخصوص بمدحه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1].

(١) [القلم:٤].

سيدنا وسندنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، صلاةً وسلاماً دائمين الى يوم الدين.

ولادة المؤلف:

ولد نفعنا الله به، وبأسلافه الطاهرين، ورزقنا محبتهم أجميعن، في رمضان المبارك، سنة ١٢٦٦هـ.

مؤلفات المؤلف المشارإليه:

وهي كتاب:

- ضوء الشمس في قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس».
- وقلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر.
- وفرحة الأحباب في أخبار الأربعة الأقطاب.
- وحديقة الفتح في ذكر الشطاحين والشطح.
- وغنية الصادقين في طريقة الصالحين.
- وغنيمة الطالبين في سلوك طريقة المشايخ العارفين.
- والجوهر الشفاف في طبقات السادة الأشراف.

- وتنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار.
- وسلسلة الإسعاد في تاريخ بني الصياد.
- وداعي الرشاد إلى سبيل الاتحاد.
- وهداية الساعي في سلوك طريقة الغوث الرفاعي.
- ورسالة في التواتر.
- والفجر المنير فيما ورد على لسان الغوث الرفاعي الكبير.
- والمصباح المنير في ورد شيخ الأولياء السيد أحمد الرفاعي الكبير.
- وديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي.
- وكتاب الصراط المستقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم.
- والحقيقة المحمدية في شأن سيد البرية.
- والمدد النبوي في بيان حكم العهد العلوي.
- وروح الحكمة فيما يجب من الأخلاق على هذه الأمة.
- والمدينة الإسلامية في الحكمة الشرعية.
- وتطبيق حكم الطريقة العلية على أحكام الشريعة النبوية.
- وسياحة القلم في الحكم.

- والواعظ المعرب عن حقيقة المسلم المتأدب.
- والسهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب.
- وتاريخ الخلفاء وارثي النبي المصطفى.
- والكوكب الزاهر في مناقب الغوث عبد القادر.
- والعناية الربانية في ملخص الطريقة الرفاعية.
- وديوانه الثاني الجامع لأشتات درر المعاني.
- وحضرة الإطلاق في مكارم الأخلاق.
- وقرة العين في مدح الإمام أبي العلمين.
- وطريق الصواب في الصلاة على النبي الأواب.
- والفرائد في العقائد.
- وسلسلة النجاح.
- والمشجر الأنور في آل النبي الأطهر.
- ومطالع البدور في جوامع كلم الغوث الرفاعي الغيور.
- وعقود الجواهر في النسب الصيادي الطاهر.
- ومحجة السالكين.
- وأسرار الوجود الإنساني.

إلى غير ذلك من المؤلفات الحاوية لجواهر الألفاظ ودرر المعاني، نفع الله بها الأنام، وأعاد من بركاتها علينا وعلى جميع الإسلام، آمين.

[وفاة المؤلف رضي الله عنه]:

انتقل الى جوار رحمة ربه رضي الله عنه، في ست ليالٍ خلون من ربيع الأول، سنة (١٣٢٧هـ)، وحملت جنازته ودفن في زاويته المباركة في (بشكطاش) -من أعمال إسطنبول-، وثم نقل جثمانه الشريف الى حلب، ليدفن في حضن أبيه وفي زاويتهم المباركة، فرحمه الله وأعلى قدره، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء[١].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) هذا الفصل ليس من أصل النسخة، انما وضعته إتماماً لمختصر ترجمته في هذا الكتاب المبارك.

[تقاريظ العلماء لهذا الكتاب المبارك][1]

شمس الدين الشيخ محمد الأنبابي[2]:

ولما نَجُزَ طبعُهُ، وازدهى من ثمره الشهي ينعه، قرَّظه فخر العلماء المحققين، وخاتمة الفضلاء المدققين، شيخ الإسلام، والروضة الأزهرية، بالديار المحروسة، المصرية مولانا، شمس الدين الشيخ محمد الأنبابي، أدام الله طلعته، وحفظ مهجته:

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نبتدي، وبنور إرشادك نهتدي، ونصلي ونسلم على من أرسلته بالحق المبين، وأهديته رحمة للعالمين، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، وكل من قام بنصرة الدين وأوضح طريق الحق

(١) في أصل النسخة هذا الفصل هو آخر الكتاب، فقدمته لمناسبة التأليف في زماننا.

(٢) محمد بن محمد بن حسين الأنبابي، شمس الدين: فقيه شافعيّ، تعلم في الأزهر، وولي شياخته مرتين، (١٢٤٠هـ - ١٣١٣هـ) «الأعلام» للزركلي (٧/ ٧٥).

للمسترشدين، ما ظهر نور الإنصاف، وخفي ظلام الانحراف.

أما بعد:

فقد اطَّلعت على جملة من الكتاب، المسمى بـ«نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف»، تأليف العالم العامل، والفاضل الكامل، بقية السلف وبركة الخلف، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والمرشد بنور الله إلى أقوم طريقة، فرع الشجرة الهاشمية وسلالة البضعة النبوية، ناشر علم الاهتداء، صاحب السماحة والسيادة، حضرة الشيخ محمد أفندي أبي الهدى، فوجدتُهُ كتاباً حسن الوضع، عظيم الوقع والنفع، قد اشتمل على مباحث مهمة، ونفائس جمَّة، وفوائد شريفة، وفرائد منيفة، مع تحقيق الحق وتأييده، وتزييف الباطل وتبعيده، بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة اللامعة، في عبارات واضحة، أنوارها لائحة، فأحسن الله له الجزاء، وأجزل له العطاء، ونفع بعلومه العباد، وسلك بنا وبه سبيل الرشاد آمين. كتبه محمد الأنبابي

❁ ❁ ❁ ❁

عبد الله باشا فكري[1]:

وقال بديع الزمان، وعين الأعيان، العلم الشهير، والعالم الكبير، والوزير الخطير، صاحب السعادة، والأخلاق المستجادة، ذو الفضائل التي لا يحصيها شكري، حضرة عبد الله باشا فكري، أطال الله به حياة الأدب ولسان العرب:

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نهتدي بنور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف، وبالصلاة على أكرم الشفعاء عليك نتقرب زلفى ونبتغي الوسيلة إليك، اللهم صل عليه صلاة تجزل له بها الكرامة، وتنفعنا ببركته وبركتها في أحوال الدنيا وأهوال القيامة، وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) عبد الله فكري باشا بن محمد بليغ ابن عبد الله بن محمد: وزير مصري، من المتأدبين، (١٢٥٠هـ - ١٣٠٦هـ)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١١٣).

أما بعد:

فقد اطلعت على طرف كثير التحف والطرف، غزير المصادر والموارد، جمِّ الفوائد والشوارد، من كتاب «نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف»، نضَّر الله بآثار مؤلفه وأفكاره الأيام، وكشف ببوارق أنواره وأسراره ظلام الأوهام، فسرحت الطرف منه في عقد نضيد من الدر الفريد، وكفى من القلادة ما أحاط بالجيد، فإذا هو سفر أسفر عن طول باع في الاطلاع، ويد في صناعة الصياغة صناع، وقلم في البراعة مطواع، وأمر في دولة البلاغة مطاع وقلب بنور النبوّة منير، وعذب من مشارب الولاية نمير، وعلم في الظاهر والباطن غزير، وعلم في الشريعة والحقيقة شهير، قد رصع من فصوص النصوص بالدرر الغالية، وتضوع من آثار السلف الصالح بالمسك والغالية، فوفى المقام حق المقال، ورقى الكلام أوج الكمال، من غير إطالة تورث الملال، أو إقلال يستوجب الإخلال، "كلا طرفي كل الأمور ذميم"، وخير الأمور أوساطها، وبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى المقام، ولا غروّ فمؤلفه، رضي الله عنه، علم الأعلام، ونور الظلام، وبدر التمام، وجمال الأيام،

وبركة الأنام، غصن الشجرة النبوية الميمونة، وفرع الدوحة العلوية المصونة، ناصر الشريعة، وشيخ الطريقة، وإمام الحقيقة، ومقتدى الأمّة، وسراج الملة، السيد السند، العلامة الفهامة، الشيخ محمد أبو الهدى أفندي الصيادي، صاحب المصنفات، التي عمَّ نفعها العالمين، وعظم وقعها لدى المتعلمين والعالمين، والأمر أشهر من أن يذكر، والشيء من معدنه لا ينكر، أدام الله تعالى النفع ببركاته الظاهرة، وبركات أسلافه الطاهرة، ونفحات لمحاتهم الفاخرة، في الدين والدنيا والآخرة.

كتبه عبد الله فكري

۞ ۞ ۞ ۞

الشيخ عبد الرحمن الشربيني[1]:

وقال كوكب العلماء العاملين، وشمس الفضلاء المحققين، رحلة الطالبين الآخذ، راية الدراية باليمين، الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الشربيني حفظه الله:

الحمد لله الذي منَّ على الأمة المحمدية، بأن يبعث لها على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها القويم، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا، محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم، المنزل عليه في الذكر الحكيم، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]،. وعلى آله الهادين، وأصحابه حماة الدين، ما حَصْحَصَ[2] الحقُّ والبيان، ووضح الصدق وبهر البرهان، وما محت آيات الإنصاف دياجي الاعتساف والخلاف.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن احمد الشربيني، المصري، الشافعي. فقيه، اصولي، بياني، مشارك في بعض العلوم. ولي مشيخة الجامع الازهر، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٢٦هـ) «معجم المؤلفين» عمر رضا كحالة (٥/ ١٦٨).

(٢) الحَصْحَصَةُ: بَيان الحق بعد كتمانه «العين» للفراهيدي (٣/ ١٤) باب (الحاء مع الصاد).

أما بعد:

فإنَّ لله عباداً اصطفاهم إليه، وقرَّبهم زلفى لديه، وأعتقهم من ربقة النفوس الأمارة، وأعلى بهم من الحق مناره، ووفقهم لتأييد شريعته وحفظ سياج ملته، والذب عن السمحة الحنيفية، والديانة الشريفة المحمدية، أولئك هم القوم كل القوم، لا يأخذهم في ذات الإله لوم، ولقد وقفت على كتاب الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف، للحبر الرباني، والعارف الصمداني، مرشد السالكين، ومربي المريدين، مظهر الأنوار القدسية، والفيوضات الإحسانية، والعلوم اللدنية، الأستاذ العلامة، السيد محمد أبي الهدى أفندي، فرع الدوحة النبوية، وفنن الأرومة الهاشمية، وشيخ الطريقة الرفاعية، فألفيته كتاباً حجته قويمة، وبراهينه مستقيمة، كتاب به جاء الحق وزهق الباطل، وامتاز الحالي من العاطل.

فأسأل الله تعالى أن يبقي أمثاله موئلاً للدين، ومؤيداً لشريعة سيد المرسلين، ﷺ وعلى آله وشرف وكرم، ولنا بالخير تمم.

كتبه الفقير عبد الرحمن الشربيني

الشيخ أحمد الرفاعي[1]:

هذي خَرائِدُ مَهْداةٌ إِلى الظَّامي   فَالْثَمْ لَمى ثَغْرِها وَاسْلُكْ هُدى السَّامِي
بِكْرٌ تَحَلَّتْ بِتَحْقيقٍ وَتَصْفِيَةٍ   فَلا يُسَايِرُها في رَمْيِها الرّامِي
وَكَيْفَ لا وَهْيَ مِنْ أَبْكارِ سَيِّدِنا   السَّيِّدِ العَلَمِيْ أَبِي الهُدى النّامِي

كتبه أحمد الرفاعي.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) لعله الإمام العلامة الكبير الشيخ أحمد بن محجوب الفيومي الرفاعي، المالكي، الأزهري، توفى سنة (١٣٢٥هـ) «المدخل الى صحيح البخاري» محمد أبي الهدى اليعقوبي صفحة (١٩١).

الشيخ محمد نوري أفندي[1]:

وقال العالم الفاضل، والأديب الكامل، كريم الأخلاق والشمائل، ذو الفضيلة محمد نوري أفندي، ابن المرحوم الحاج مصطفى أفندي، مفتي أريحاء، من أعمال حلب الشهباء، وفق من الخير لما شاء آمين.

الحمد لله وكفى:

أشمسُ فضل بأفقِ الكونِ قد سطعَتْ فنوَّرتْ بسَناها حالكَ الدُّهم
أم بدرُ تمٍّ تجلَّى في سماءِ عُلا فزالَ في الحالِ ما قد كانَ من ظُلم
أم ضوءُ صُبحٍ بدا في الكونِ فانتشَرَتْ أنوارُهُ في زوايا البيتِ والحَرَم
أم روضةٌ ذاتُ أزهارٍ منوَّعةٍ تجري جداولُها من مَنبع الكَرَم

---

(١) الشيخ، عالم فاضل، وأصيل كامل، مفتي مدينة إدلب، الشيخ محمد نوري بن مصطفى أفندي آل المفتي الأريحاوي، من خلفاء السيد محمد أبي الهدى أفندي الصيادي، ذكر صاحب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» طرفاً عنه، ولم يترجم أحد له، وله مؤلفات منها «النفحات الهدائية على ورد السادة الأحمدية» مطبوع، و«تعطير النادي في ترجمة السيد محمد أبي الهدى أفندي الرفاعي الصيادي».

أم قد بدا نورُ إنصافٍ أدلَّتُهُ   كلامُ طه وقولُ البارئِ النَّسَم
قد صاغَهُ السيِّدُ الشهمُ الذي شهدتْ   بمجدِهِ فُضلاءُ العُرب والعَجَم
العالمُ العاملُ الثَّبتُ الذي اشتهرَتْ   آثارُهُ كاشتهارِ النارِ في العَلَم
أبو الهُدى علمُ الساداتِ عالمُهمْ   شِبلُ الرِّفاعيِّ غوثُ الكونِ ذي الهِمَم
لا غَروَ إنْ حلَّ فيه كلُّ مُشكلةٍ   أو ضمَّنَ النَّظمَ منه جوهرَ الكَلِم
فإنَّهُ بينَ أهل العصرِ مُشتهِرٌ   بالعِلم والحِلم والعِرفانِ والشِّيَم
تُروى أحاديثُ عُلياهُ مُسلسلةً   من سيِّدٍ علم عن سيِّدٍ عِلم
آثارُهُ عظُمَتْ نفعاً ومذ ظهرتْ   قد أذعنتْ لعُلاها سادةُ الأُمَم
وهاكَ منها كتاباً عزَّ موردُهُ   وقد سما كلَّ منثورٍ ومنتظَم
فصلُ الخطاب حوى في طيِّ أجوبةٍ   مقبولةً عندَ أهل الحقِّ كلِّهِم
أنعِمْ بسِفْرٍ لسانُ الحالِ أرَّخَهُ   زها به نورُ إنصافٍ لذي حُكُم

سنة (١٣٠٦هـ).

كتبه خويدم نعال أهل السنة المحمدية والطريقة الأحمدية، الفقير

الحقير، محمد نوري ابن الحاج مصطفى المفتي الريحاوي تاب الله عليه.

[مقدمةُ المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا محمد الذي لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين، وعلى التابعين لهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول العبد المستجير بالله في جميع الأحوال والمساعي، محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادي الصيادي الرفاعي، كان الله له وللمسلمين، إنه الموفق المعين.

قد سألني أناس من المحبين أسئلة مختلفة، أكثروا فيها القال والقيل، وخاضوا فأفرط البعض، وفرَّط[1] البعض، وأتوا بكثير وقليل،

---

(١) فَرّطَ في الأمر: قصّر فيه حتى فات، وأَفرَطَ في الأمر: جاوز الحد. «مختار الصحاح» (٢٣٧).

فجمعت زبدةَ مقاصدهم العريضة الطويلة، ووضعت لها هذه الرسالة المختصرة القليلة، وسميتها نورُ الإنصافِ في كشفِ ظُلمةِ الخلافِ.

والله َأسألُ أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، سالكةً من طرق الحق الطريق القويم، آمين.

❁ ❁ ❁ ❁

مقدمةٌ في زبدة الأسئلة المطلوبة التي عقدنا لها هذه الرسالة المرغوبة

وهي:

- هل تجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ، وبساداتنا النبيين والمرسلين، والأولياء والصالحين؟
- وهل للميت إطلاع بحاسة بصره، وسماع لكلام الحي؟
- وهل يجوز نداء غير الله تعالى، وهل يجوز نداء الميت والغائب؟
- وهل يجوز التوسل به ﷺ، وبالأنبياء، والأولياء؟
- وهل يجوز الاستمداد من الأولياء الأحياء منهم، والأموات؟
- وهل يجوز وقوع الكرامات للأنبياء، والأولياء بعد الموت؟
- وهل تجوز زيارة قبور الأولياء للتبرك بها والتوسل؟
- وهل يجوز استعمال السبحة؟
- وهل تجوز الصلاة على السجادة التي تحمل إلى المساجد لأجلها؟
- وهل يجوز تقبيل يد الشيخ؟

- وهل يصح ما نقله بعضهم من تصرف أربعة من الأولياء في قبورهم، كتصرف الأحياء؟
- وهل يجوز تدوين الشطحات المروية عن بعض المشايخ، والقول بها، وبوحدة الوجود المطلقة؟

أقول: هذه الأسئلة، وقد أطال إخواننا الفقهاء والمشايخ الجدال بشأنها كل الإطالة، والإنصاف ما سأذكره، إن شاء الله تعالى، في هذه الرسالة، والله الموفق لمن أراد من عباده، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فصل

[في جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ والأنبياء والأولياء والصالحين]

أما الاستغاثة[1] بالنبي ﷺ ، وبإخوانه النبيين والمرسلين، وبالأولياء والصالحين!

فالجواب: أنَّه لا يخفى أن الاستغاثة به ﷺ، وبإخوانه النبيين والمرسلين، وبالأولياء والصالحين،

هي عبارة عن سؤال الشفاعة من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج، ودفع النوائب وتفريج الكرب، والأخذ بالثأر، ولا ريب أن كل من يناديهم من أمة محمد ﷺ، فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله، ولا يدعى للعبادة إلا الله، ولا يفعل ما يراد ويمنح ما يطلب إلا الله، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستعانة بعباد الله، فيما رواه الحافظان

---

(١) الاستغاثة : طلب الغوث، واستغاث الرجل غَوَّث، وبه استنصره واستعان به. «المعجم الوسيط»، (٦/ ٦٦٥)

الجزري[1]، والسيوطي[2] طاب ثراهما: «أنَّ رسولَ الله ﷺ، أَمَرَ لِمَن انْفَلَتَتْ دَابتُهُ بِأرضٍ فَلاةٍ أن يقول: يا عبادَ اللهِ احبِسُوا، ثلاثَ مرات»[3].

وفي رواية أخرى: «وإذا أراد عوناً فليقل يا عباد الله أعينوني»[4].

---

(١) الجزري: شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد بن الجزري العمري الدمشقي ثم الشيرازي، الشافعي (٧٥١هـ -٨٣٣هـ). «غاية النهاية في طبقات القراء»، للمترجَم (٢/ ٢٤٧).

(٢) الإمام الحافظ، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي، (٨٤٩هـ - ٩١١هـ) «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، (١/ ٤٤٠).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، (١٠/ ٢١٧) رقم (١٠٥١٨)، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله، احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي؛ فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١١٧) رقم (٢٩٠) بلفظ «أغيثوني»، عن عتبة بن غزوان، عن نبي الله ﷺ قال: «إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم عونا وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم».

وأخرج ابن عساكر[1] في «تاريخه» ، وابن الجوزي[2] في «مثير الغرام» ، وابن النجار[3]، بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي، قال: أتيت قبر النبي ﷺ فزرته، فجلست بحذائه، وذكر نحوَ ما سيأتي، وروى السمعاني[4] عن أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه، أنه قال : "قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ ، وحثا من ترابه على رأسه، وقال : يا رسول

---

(١) الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، المجود، محدث الشام، ثقة الدين، أبو القاسم الدمشقي، الشافعي، (٤٩٩هـ - ٥٧١هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ٥٥٤)، وتاريخه المذكور هو «تاريخ دمشق».

(٢) الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد التيميُّ، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. (٥٠٩هـ -٥٩٧هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٣٦٥).

(٣) الإمام، الحافظ، البارع، محدث العراق، مؤرخ العصر، محب الدين، أبو عبد الله محمد بن محمود بن حسن، ابْنُ النَّجَّار (٥٧٨هـ - ٦٤٣هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٣/ ١٣١).

(٤) لم أجد في مصنفات الإمام أبي سعد، عبد الكريم ابن محمد السمعاني هذا الحديث، وسيأتي تخريج الحديث.

الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك، {وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُم جَآءُوكَ}[1]الآية، وقد ظلمت نفسي، وجئتُكَ تستغفرَ لي، فنودي من القبر أنه قد غُفِرَ لك"[2].

وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به، والإلتجاء في المهمات إليه، صلوات الله عليه.

هذه السيدة زينب الطاهرة، بنت البتول عليها السلام، لما مرَّت بمصرع الحسين عليه السلام صاحت: "يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مزمَّل بالدماء"، كما ذكر ذلك ابن الأثير[3]،

---

(١) [النساء:٦٤].

(٢) ذكر هذه الحادثة الإمام أبو بكرٍ البيهقي، أحمد بن الحسينِ بن علي الخراساني، في «شعب الإيمان» رقم (٣٨٨٠)، وابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» صفحة (٤٩٠)، وعزاها تقي الدين السبكي في «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» لـ«تاريخ دمشق» لابن عساكر، ولم أجدها في «التاريخ».

(٣) الشيخ، الإمام، العلامة، المحدث، الأديب، النسابة، عز الدين، أبو الحسن، علي ابن محمد بن محمد ابن الشيخ الأثير أبي الكرم. (٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ)

وغيره[1]، والقصة شهيرة متواترة، والقائلة لهذا بنت المصطفى، وقد شكت الحال لجنابه الكريم، ونادته واستشفعت به، فغار الله لنبيهِ، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم، ومزقهم كل ممزق، وثبتت نصرة الله لأوليائه، وقد استفاض بين المسلمين توسل آل النبي ﷺ طبقة بعد طبقة به عليه الصلاة والسلام، وبذريته وآل بيته، وهم بيت النبوة ومعدن أسرار الوحي وكنوز الشريعة.

وقد نقشَ بعضُ الأئمة منهم خواتمَهُم بمثل هذا فكتبوا فيها:

ظنِّي باللهِ حَسَنْ وبِالنَّبِيِّ ذي المِنَنْ

وبِالوَصِيِّ المُؤتَمَنْ وبِالحُسَينِ والحَسَنْ

«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٢/ ٣٥٣)، والقصة ذكرها في كتابه «الكامل في التاريخ» (٣/ ١٨٥).

(١) وذكر هذه القصة أيضا الإمام الطبري في «تاريخه» (٥/ ٤٥٦)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٩٣).

وما ذاك إلا أنهم جعلوهم شفعاءهم، ووسائلهم إلى الله سبحانه.

قال في الكشاف[1] عند الكلام على قوله تعالى: {وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ}[2] "ألا كُلُ ذِيْ لُبٍّ إلى اللهِ واسلُ"[3]، وقد توسل الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بنبينا ﷺ قبل خلقه، كما صحح ذلك

(١) الكشاف: كتاب في التفسير أو ما يسمى بـ «تفسير الزمخشري»، العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، صاحب «الكشاف» و «المفصَّل»، (٤٦٧هـ -٥٣٨هـ)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٥١).

(٢) [المائدة:٣٥].

(٣) هذا شطر بيت من قصيدة لـلبيد بن ربيعة العامري، والقصيدة:

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ أنحبٌ فيُقْضى أم ضَلالٌ وباطل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى اللهَّ واسل
ألا كل شيء ما خلا اللهَّ باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل

وقد ذكر شطرها الإمام الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٢٨).

عمدة الثقاة منهم الحاكم[1]، وصحح إسناده، وعن أمير المؤمنين سيدنا عمرَ بن الخطاب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَمَّا اقتَرَفَ آدمُ الخطيئةَ، قال: ياربُّ، أسألُكَ بحقِّ محمدٍ لما غَفَرتَ لِي، فقال اللهُ تعالى: ياآدمُ، كيف عرفتَ محمدًا ولم أخلُقهُ؟ قال: ياربُّ، لأنَّك لَمَّا خَلَقتَنِي بيدِكَ، ونَفَختَ فيَّ مِن رُوحِك، رَفَعتُ رأسي، فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسول الله، فعرفتُ أنَّك لم تُضِفْ إلى اسمِكَ إلا أحبَّ الخلقِ إليكَ. فقال اللهُ تعالى: صَدَقتَ ياآدمُ، إنَّه لأحبُّ الخلقِ إليَّ، إذْ سَأَلتَنِي بحقِّه، فقد غَفَرتُ لك، ولولا محمدٌ ما خَلَقتُكَ»[2].رواه

(١) الإمام، الحافظ، الناقد، العلامة، شيخ المحدثين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد، بنُ البَيِّع الضَّبِّيّ الطَّهْمَانِيُّ النَّيْسَابُوْرِيّ، الشَّافعيُّ، صاحب التَّصَانيف. (٣٢١هـ - ٤٠٣هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ١٦٣).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم رقم (٤٢٢٨)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٤٨٩).

الطبراني[1] وزاد «وهو آخر الأنبياء من ذريتك»[2].

قلت: ومن هذا يعلم أنَّ التوسل بالنبي ﷺ، بل وبكل من أحبه الله تعالى جائز أيضاً، وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى، ولا ريب أن سيد المخلوقين وأكرم المقربين إلى الله إنما هو نبينا المصطفى ﷺ.

ومما يثبت جواز الاستغاثة بعباد الله الصالحين خاصة، ما أخرجه الطبراني، في الكبير[3]، بسنده إلى عقبة بن غزوان[4]، عن النبي ﷺ أنه قال: "إِذَا أَضَلْ أَحَدُكُمْ شَيئَاً، أو أَرَادَ عَوْنَاً وَهْوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بها أَنِيسٌ، فَليقُلْ: يا عِبَادَ الله أَعِينُونِي، فإنَّ للهِ عِباداً لا تَرَاهُم"، وقد جرب ذلك.

---

(١) الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، الشّامِيّ، الطَّبَرَانِيُّ، صاحب المعاجم الثلاثة. (٢٦٠هـ -٣٦٠هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ١١٩).

(٢) الطبراني «المعجم الصغير» (٢/ ١٨٢) رقم (٩٩٢).

(٣) يعني كتابه «المعجم الكبير».

(٤) الصواب: عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، السيد، الأمير، المجاهد، أبو غزوان المازني، عتبة بن غزوان بن جابر، أسلم سابع سبعة في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم شهد بدراً والمشاهد. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٣٠٤).

انتهى ما قاله الطبراني[1].

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً[2]: «إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَتهُ فَلينَادِ يا عِبادَ اللهِ رَحِمَكُمُ الله»[3].

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) تقدم ذكر هذا الحديث في هامش صفحة (٤٣) بلفظ (أغيثوني).

(٢) الحديث المرفوع: وهو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة، ولا يقع مطلقه على غير ذلك، نحو الموقوف على الصحابة وغيرهم. «معرفة أنواع علوم الحديث» لابن الصلاح (٤٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٧٢٩٧).

[مطلب في التوسل بالنبي ﷺ قبل انتقاله]:

ومن الأخبار التي جاءت بالتوسل[1] بالجناب النبوي، عليه الصلاة والسلام حال حياته في الدنيا، ما رواه جماعة، منهم النسائي[2]،والترمذي[3] في الدعوات[4]، والبيهقي[5]، عن عثمان بن

---

(١) الْوَسِيلَةُ: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: الْوَسِيلُ والْوَسَائِلُ، تَوَّسَلَ إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل. «مختار الصحاح» صفحة (٣٣٨)، مادة: (و س ل).

(٢) الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، الخراساني، النسائي، صاحب (السنن). (٢١٥هـ -٣٠٣هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ١٢٥).

(٣) الحافظ، العلم، الإمام، البارع، محمد بن عيسى بن سورة، التِّرمذيُّ، مصنف «الجامع»، وكتاب «العلل»، وغير ذلك. (٢١٠هـ -٢٧٩هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٢٧٠).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، رقم (٣٥٧٨).

(٥) الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي، البيهقي، الخُسْرَوْجِرديُّ، الخُرَاسَانِيُّ. (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ١٦٣).

حنيف[1]: «أنَّ رجلاً ضريراً[2] أتى النبيَ ﷺ، فقال: ادْعُ اللهَ أنْ يعافيَني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صَبَرْتَ فهوَ خيرٌ لَكْ، قال: فادْعُ[3]، فَأَمَرَهُ أنْ يَتوضَأْ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، ويَدعوَ بهذا الدعاءِ: اللهُمْ إنِّي أَسْألكَ وأتوجهُ إليكَ بِنَبْيِكَ مُحَمّدٍ ﷺ نَبيِّ الرْحمةْ، يا محمد[4]، إنِّي تَوَجَهْتُ بِكَ إلى ربي في حَاجَتِي لِتُقْضى لِي، اللهُمَ شَفِّعهُ فِيَّ، فَقَام وَقَدْ أَبْصَرْ»[5].

وقد توسل ﷺ بنفسهِ الطاهرة، وبإخوانهِ الذين من قبله عليهم الصلاة والسلام، وذلك فيما أخرجه الطبراني[6] في الكبير والأوسط،

---

(١) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري، الأوسي، القبائي، توفى في خلافة معاوية. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/ ٣٢٠).

(٢) رواية الإمام الترمذي "رجلاً ضريرَ البصرِ"، وهذه الرواية في «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن خزيمة»، وغيرهم.

(٣) رواية الإمام الترمذي "فادعُهُ".

(٤) لفظ «يا محمد»، ليست في رواية الترمذي، في رواية الإمام أحمد في «مسنده» رقم (١٧٢٤٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» رقم (١٢١٩).

(٥) الترمذي رقم (٣٥٧٨)، والإمام أحمد رقم (١٧٢٤٠)، وابن خزيمة رقم (١٢١٩)، عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه.

(٦) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٩)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد[1]، دخل عليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجلس عند رأسها، فقال: «رَحِمَكِ الله يا أمي بعد أمي»، وذكر ثناءَه عليها، وتكفينها ببرده، قال: ثم دعا رسول الله، ﷺ ، أسامةَ بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسودَ يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد، حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ، دخل رسول الله ﷺ ، فاضطجع فيه، ثم قال: «اللهُ الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك، والأنبياء الذين من قبله فإنك أرحم الراحمين»، وكبَّر عليها أربعاً، وأدخلها اللحد هو والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم[2].

---

(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، الهاشمية، والدة علي بن أبي طالب. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/ ١١٨).

(٢) رواه الإمام الطبراني «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٥١) رقم (٨٧١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ : فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ: «رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، وتُشْبِعِينِي وتَعْرَيْنَ، وتُكْسِينِي، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبًا، وتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ

أقول: فإذا توسل هو ﷺ بنفسه الطاهرة، وبإخوانه الأنبياء الذين من قبله، فكيف تمنع أمته من التوسل به، وبإخوانه النبيين والمرسلين؟، صلوات الله عليهم أجمعين.

❁ ❁ ❁ ❁

وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ» ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلَاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفُرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَاضْطَجَعَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، ولَقِّنْهَا حُجَّتَها، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، وأَدْخَلُوها اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

[مطلب في التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله]:

وأما التوسل به ﷺ بعد وفاته، فقد سبق لك خبرُ الأعرابي، الذي حثا على رأسه من تراب قبره ﷺ، وخاطبه من قبره الكريم قائلاً: "أنه غفر لك" وذلك بمشهد من الصحابة الكرام، وقد رويت هذه القصة الشريفة بمحاضر أعيانهم، وأكابر تابعيهم، فما أنكرها منهم أحد، مع أنهم أهل الحق ولا ينحرفون مقدار شعرة عن الصدق.

وروى الطبراني[١] عن عثمان بن حنيف[٢]، أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه في حاجة له، فكان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال له: "ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي، وتذكر حاجتك"، فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه، فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على

---

(١)تقدمت ترجمته في صفحة (٤٩)

(٢)تقدمت ترجمته رضي الله عنه في صفحة (٥١)

عثمان، فأجلسه على الطنفسة[1] فقال: "ما حاجتك ؟، فذكر حاجته وقضاها له"، ثم قال: "ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة"، وقال: "ما كانت لك من حاجة فاذكرها"[2].

أقول: كان ذلك ببركة توسله بنبينا المكرم، الوجيه الوجه عند الله ﷺ، وقد أرشدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام للتوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين، وقد سبق لك أمره، ﷺ لمن انفلتت دابته أن يقول: «يا عباد الله احبسوا ثلاثاً»[3]، «ولمن أراد عوناً يا عباد الله أعينوني»[4]، وغير ذلك من الأخبار الشريفة والآثار اللطيفة.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) الطِّنْفِسَة: النُّمرُقةُ فوق الرحل، وجمعها (طنافس)، وقيل: هي البساط الذي له خَمْلٌ رقيقٌ. «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ١٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير)، رقم (٨٣١١).

(٣) تقدم تخريج الحديث في هامش صفحة (٤٣)

(٤) تقدم تخريج الحديث في هامش صفحة (٤٣)

[مطلب في التوسل بالأولياء والصالحين بعد انتقالهم]:

قال سيدنا القطب السيد أحمد عز الدين الصياد[١] سبط الإمام الرفاعي رضي الله عنهما في «الوظائف الأحمدية»[٢]، "ولا بدع، فإن الله يفرج كروب المكروبين حرمة لأوليائه وأحبابه، ويقضي لهم بشفاعتهم عنده حوائجهم[٣]".

ونُقِلَ عن[٤]، قدس الله روحه، ما رواه بسنده، عن الحسن بن إبراهيم الخلال[٥]، أنه قال: "ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر

---

(١) السيد الجليل، والعلم الطويل، القطب الجواد، الملقب بـ(الصياد)، المعروف بـ(أبي علي)، أحمد عز الدين بن عبد الرحيم بن سيف الدين. (٥٧٤هـ - ٦٧٠هـ) «تراجم منمنمات» للشيخ عبدا لحيكم عبد الباسط.

(٢) كتاب «المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية».

(٣) «المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدي» صفحة (١١٢).

(٤) الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. (٣٩٢هـ - ٤٦٣هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ٢٧٠).

(٥) الإمام، الحافظ، المجود، محدث العراق، أبو محمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن، الخلّال (٣٥٢هـ - ٤٣٩هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٥٩٣).

فتوسلت به إلا سهل الله سبحانه لي ما أحب"[١].

وقال في «الوظائف الأحمدية»: "لا يخفى عليك أن جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد، فإن العبد يشهد سوء حاله، وكثرة ذنوبه، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق، فتجتمع همته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب، وانكساراً للرب، وإعظاماً لقدرته، وإيماناً بأنه هو الفعال لا غيره، وأحبابه الوسائل المرضية عنده، لإتباعهم نبيَه الكريم، ولوقوفهم عند أمره العظيم"، ثم قال رضي الله عنه، "وهذا أدب الأحمديين رضي الله عنهم، فلا يخرقون لظاهر الشريعة سياجاً، ويعتقدون بكرامات الأولياء، ويجزمون بإكرام الله لهم وغيرته لأجلهم، ولا يقولون بتأثير مخلوق"[٢]. انتهى

قلت: يريد أنهم لا يثبتون استبداداً في الأفعال لمخلوق إلا بقدرة الله

(١) ذكر القصة الخطيب، في كتابه «تاريخ بغداد» (١/ ٤٤٢).

(٢) «المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية» صفحة (١١٤)

تعالى، وإذنه سبحانه {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}[١].

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي[٢]في صفوة الصفوة[٣] أن إبراهيم الحربي[٤]كان يقول: "قبر معروف الكرخي[٥]الترياق المجرب"[٦].

أقول: وذكر مثل هذا الخطيب البغدادي رحمه الله في تاريخه، وصح أنَّ الإمام الشافعي رضي الله عنه، قال: "قبر موسى الكاظم ترياق

---

(١) [البقرة: ٢٥٥].

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٣)

(٣) لعله كتاب «صفة الصفوة».

(٤) الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، البغدادي، الحربي، صاحب التصانيف. (١٩٨هـ - ٢٨٥هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٣٥٦).

(٥) علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، معروف الكرخي، توفى سنة (٢٠٠هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ٣٣٩)، «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٤٧٢).

(٦) «صفة الصفوة» (١/ ٤٧٢).

مجرب"[1].

وأما من أفرط، واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرفون مستبدون قادرون بأنفسهم على الفعل والقطع والوصل من غير التجاء إلى الله تعالى، وتوجه إليه، فهو ممكور مبعود، وقوله مردود، وهو من الضلال بمكان، والعياذ بالله تعالى.

ومن فرّطوا، وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام، والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى بعبدة الأوثان، فهم أقبح من أولئك وأسوأ، وأضل سبيلاً، ويقال بشأن مثلهم قول القائل: "ويل لمن شفعاؤه خصماؤُهُ"[2]، اللهم إنا نعوذ بك من

---

(١) قال الخطيب البغدادي: عن أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال، يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب. «تاريخ بغداد» (١/ ٤٤٢)، وذكر محمد بن موسى الدميري، في «حياة الحيوان الكبرى» ما نصه: وكان الشافعي يقول: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب، (١/ ١٨٩).

(٢) هذا شطر بيت ليوسف بن الأمير حسام الدين، سبط ابن الجوزي، والقصيدة:

وَالصُّورُ فِي نَشْرِ الخَلَائِقِ يُنْفَخُ ... وَيْلٌ لِمَنْ شُفَعَاؤُهُ خُصَمَاؤُهُ

الشيطان الرجيم {اهدنا الصراط المستقيم}[1].

وملخص ما قاله شيخ الأمة، مولانا وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه، في «برهانه»، «وحكمه»، وكثير من كتبه: "أنَّ التوسل بالأولياء، إنما هو بمحبة الله تعالى لهم، ومحبة الله لعباده الصالحين صفة له سبحانه، ونعم الوسيلة إليه تعالى صفته جل وعلا"[2]. وما بقي بعد هذا إلا العناد، واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد".

❁ ❁ ❁ ❁

لَا بُـدَّ أَنْ تَـرِدَ الْقِـيَـامَـةَ فَـاطِـمٌ   وَقَمِيصُـــهَا بِدَمِ الْحُسَــيْنِ مُلَطَّخُ

(١) [الفاتحة:٥].

(٢) انظر «البرهان المؤيد» تحقيق عبد الغني نكه مي، صفحة (١٢٥)، «الحكم الرفاعية» صفحة (١٤).

فصلٌ

[في أدلة إطلاع الميت بحاسة سمعه وبصره وسماعه لكلام الحي]

وأما إطلاع الميت بحاسة بصره وسماعه لكلام الحي:

فالجواب فيه: أن ابن الهمام[1] رحمه الله ذكر في «فتح القدير» أنهم قالوا في زيارة القبور، "الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من قبل بصره، فإنه أتعب لبصر الميت، بخلاف الأول، لأنه يكون مقابلاً لبصره، لأن بصره ناظر إلى جهة قدميه، إذا كان على جنبه"[2]. انتهى

وبهذا أثبت -قدس الله روحه- للميت إطّلاعاً بحاسة بصره، وأن أطباق الثرى لا تمنع بصره عن رؤية الزائر، وعلى هذا فبالأولى ألا تمنع حاسة السمع، لأن حاسة البصر أضعف من حاسة السمع.

---

(١) محمد بن عبد الْواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال بن همام، السيواسي الأصل ثمّ القاهري الْحنفي. (٧٩٠هـ - ٨٦١هـ) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٨/ ١٢٧) لشمس الدين السخاوي.

(٢) كتاب «فتح القدير على الهداية» (٣/ ١٨٠).

وقد خرّج الشيخان[1]، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، حتى أنه يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه ...»الحديث[2].

وقد أمر الشارع الكريم عليه الصلاة والسلام بخطاب أهل القبور، بقول: "السلام عليكم"، وقد سلّم ﷺ على أهل البقيع، -وحاشا أن يكون من العبث-، ومع كل هذا فالعلم ثابت حصوله، على أن العلم يكون بالروح، وهو باق لتعلقه بالروح، ولا مجال لإنكار سماع الأموات وعلمهم بعد الأدلة الصحيحة المصرحة بذلك عند أهل السنة والجماعة البتة، كيف وقد ثبت للموتى ما هو فوق السماع والإبصار وهو الكلام وقراءة القرآن، أما الكلام فقد اشتهر سماع كلام كثير منهم، وقد صرح غير واحد بأن ربعي بن خراش[3]، تكلم بعد الموت، وأما قراءة

---

(١) الشيخان: هما الإمام البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٣٧٤)، ومسلم رقم (٢٨٧٠).

(٣) الصواب: (حِراش) الإمام، القدوة، الولي، الحافظ، الحجة، أبو مريم، ربعي بن حراش بن جحش، الذي تكلم بعد الموت، توفى سنة (٨٩هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٣٥٩).

القرآن، فقد ثبت فيما أخرجه الترمذي وحسَّنه، عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: "ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تبارك الذي بيده الملك}(1)، حتى ختمها، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة {تبارك الذي بيده الملك} حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»"(2).

أقول: وهذا كاف لإثبات كلام الموتى وشعورهم وقراءتهم القرآن، وكم مثل هذا من الأخبار والروايات الوثيقة، التي كادت تخرج عن دائرة الحصر.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(1) [الملك:1].

(2) أخرجه الترمذي رقم (2890).

فصلٌ

[في جواز نداء غير الله جل وعلا، وجواز نداء الميت والغائب]

وأما جواز نداء غير الله، وجواز نداء الغائب والميت، والتوسل بالنبي ﷺ، وبالأنبياء والأولياء:

فالجواب: أخرج ابن السني[1] في عمل اليوم والليلة، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: "كنت أمشي مع ابن عمر فخدرت رجله فجلس فقال له رجل أذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمداه، فقام فمشى"[2].

وأخرج أيضاً عن الهيثم، قال: "كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فخدرت رجلَهُ، فقال له رجل أذكر أحب الناس إليك فقال: يا

---

(١) الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم، الهاشمي، الجعفري مولاهم، الدينوري، المشهور بابن السني. (٢٨٠هـ - ٣٦٤هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه أبن السني، في «عمل اليوم والليلة»، رقم (١٦٨).

محمد، فقام كأنما نشط من عقال"[1].

فمن هذا ومثاله: يعلم جواز نداء غير الله، بل وجواز نداء الميت بعد موته، قريباً كان منه أو بعيداً عنه.

وليعلم أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، يتحقق أنه لا يدعى للعبادة إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما المسلمون ينادون من ينادون من أحباب الله وأوليائه على جهة الشفاعة عنده، ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان ميتاً أو حياً غائباً أو حاضراً لا بأس به، أما نداء الحاضر فلا يشك في جوازه عاقل، وأما نداء الغائب، فكاف في جوازه نداء سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يخطب على منبر المدينة لسارية رضي الله عنه وهو غائب في بلاد العجم[2].

وأمَرَ النبي ﷺ، لمن أراد عوناً أن يقول: «يا عباد الله أعينوني» كما

(١) أبن السني في «عمل اليوم والليلة»، رقم (١٧٠)، والصواب هو: عبد الله بن عمر، وليس عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) ذكر هذه القصة أبن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٣٠).

سبق، وأما نداء الميت فيكفي في جوازه نداء النبي ﷺ أصحاب القليب يوم بدر بأسمائهم واحداً بعد واحد، وهو يقول: «إني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً» فقيل له عليه الصلاة والسلام، كيف تناديهم وهم أموات؟، فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم»(١).

وهنا سر لطيف، وهو أن النداء من المخلوق للمخلوق ليس بعبادة له أصلاً، والدعاء أخص من النداء، وهو خاص بالله جل وعلا، ومثاله قول العبد: "يا رب يا الله" ونحو ذلك، والطلب إن كان من المخلوق للخالق تعالى سمي دعاء عبادة، وإن كان من المخلوق لمن هو مثله أو أعلى رتبة من المخلوقين سمي نداء، نعم يتضمن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الإعانة والإغاثة والشفاعة منه، وهذا لا بأس به أصلاً، لأن الأحاديث والأخبار قد صرحت بأن الأنبياء والأولياء لهم الشفاعة عند الله، على قدر مراتبهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بإجابة الدعاء ودفع البلاء ونزول الغيث وحل المشكلات، وفي الآخرة

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٠٢٦)، ومسلم رقم (٢٨٧٣).

بتفريج كربات القيامة وأهوالها، وكل ذلك ثابت بالأحاديث الشريفة والأخبار المنيفة، قال ﷺ : «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»[1]، فإذا كان الأمر كذلك فكيف، لا يستشفع بالرجل الصالح في المهمات؟.

وفي «الأوسط»[2]: قال ﷺ:، «لنْ تخلوَ الأرضُ من أربعينَ رجلاً مثلَ خليلِ الرحمنِ، فبهِم تسقونَ، وبهم تنصرونَ، ما ماتَ منهمْ أحدٌ إلا بدّل اللهُ مكانهُ آخر»[3].

وبهذا ثبت، أن السماء تمطر ببركاتهم، والنصرة على الأعداء تحصل بعنايتهم، فكيف لا يستغاث بهم إلى الله، ويتوسل بجاههم، ومحبة اللهِ

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٠٨٠).

(٢) «المعجم الأوسط» للطبراني

(٣) الطبراني في«الأوسط» رقم (٤١٠١)، قال: حدثنا علي بن سعيد قال: نا إسحاق بن زريق الراسبي قال: نا عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل إبراهيم خليل الرحمن، فبهم يسقون وبهم ينصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

لهم وهم أحبابه، وأهل حضرته، ولم يرد في الكتاب، ولا في السنة، أن الله تعالى أو نبيه الأعظم ﷺ، قال: لا تنادوا نبياً ولا ولياً على جهة الشفاعة!

والذي احتج به البعض من قوله تعالى: {فلا تدعوا مع الله أحدا}[1]، وقوله تعالى: {إنَّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم}[2]، ونحو ذلك من الآيات الكريمة الفرقانية، فالخطاب فيها للمشركين الذين يدعون مع الله غيره، أي يعبدونه، ويفسر هذا قوله تعالى {وكانوا بعبادتهم كافرين}[3]، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء، وعلى كل حال، فالتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه من سيرة السلف الصالح، ومن الأسباب المأمور بتعاطيها شرعاً وعقلاً، والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى، والأسباب لا تأثير لها باعتقاد جميع المسلمين، وما المنادي المتوسِل، إلا كمريض تناول دواء فأكله وهو يعتقد أن الدواء

---

(١) [الجن: ١٨].

(٢) [الأعراف: ١٩٤].

(٣) [الأحقاف: ٦].

سبب والله هو الشافي المعافي حقيقة، والدواء لا تأثير له البتة، ولا يقول عاقل من خَدَمَةِ الشريعةِ في مشارق الأرض ومغاربها لشارب الدواء أشركت، ولا يقدر أن يمنعه عن تناول الدواء، وما بقي بعد هذه الأدلة الواضحة إلا الصمم عن الحق، والإنحراف عن الطريق الأحق، فإن المنادي يقول مثلاً: "أدركنا يا رفاعي"، أو "أغثنا يا ولي الله"، ويعتقد أنه سبب لحصول الخير والنجاة من الضر، والله هو المعطي المانع الضار النافع، والولي بمنزلة الدواء، فمن ذا الذي ينقض كلامه أو يفوّق له بالطعن سهامه، والمثال ظاهر لا نزاع فيه، وأما من قال بالنداء معتقداً تأثير المنادى دون الله تعالى، فهو من الممكورين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

❁ ❁ ❁ ❁

فصلٌ

[في جواز وقوع الكرامة للأولياء بعد مماتهم]

وأما جواز وقوع الكرامات[1] للأنبياء وللأولياء بعد الموت، وجواز الاستمداد من الأولياء الأحياء والأموات:

فالجواب: أما وقوع الكرامات للأنبياء وللأولياء بعد الموت، فهو شائع ذائع، بلغ مبلغ التواتر القطعي الذي لا يقبل الحمحمة[2]، وهنا تفصيلات جيدة إن شاء الله تعالى.

قال جماعةٌ[3]: كل ما يجريه الله تعالى على يد النبي بعد وفاته فهو معجزة له، وكل ما يجريه الله على يد الولي فهو كرامة له.

---

(١) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة. «التعاريف» للجرجاني صفحة (١٨٤).

(٢) الحمحمة بالحاء: أن يردِّد الفرسُ صوتَه ولا يَصْهَلِ. «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» للسيوطي (١/ ٤٤).

(٣) منهم: أبو معين النسفي الماتريدي، وملا علي القاري، و جمال الدين السرمري.

وقال آخرون: بل كل ذلك كرامة، سواء كان للنبي أو للولي، لأن المعجزة مشروطة بالتحدي وبعد الانتقال من هذه الدار، فهذا الشرط مفقود، والذي يجريه الله حرمة للنبي إنما هو من إكرام الله تعالى له، وهو كرامة ما لم يكن النبي حياً الحياة الدنيوية، وأما إمكان وقوع ذلك فلا ريب فيه، إذ من المقرر أنَّ المعجزات والكرامات مرجعها إلى قدرة الله تعالى وإرادته سبحانه، {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون}[1]، فالمعجزة والكرامة من الله، وإنما تنسب إلى الأنبياء والأولياء على طريق المجاز، لكونها جرت على أيديهم وبسببهم، فهم وسائط وأسباب في إيصال المدد إلى الممدودين، ولهم عليهم حق الشكر المَجَازي، كما أن لله تعالى حق الشكر الحقيقي، ولهم -سلام الله ورضوانه عليهم- هذه الخصوصية، ولا ينكرها عليهم إلا مبعود، مطموس القلب، كيف لا وقد ورد في الحديث القدسي، «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي

---

(١) [يس:٨٢].

يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1]الحديث.

فالذي يكون مظهراً لهذا الحديث القدسي، كيف لا تنخرق له العادات، وتظهر على يديه الكرامات، وتنكشف بسببه الكربات، وتقضى ببركته الحاجات؟

وهنا لقائل أن يقول: ظهور الكرامة بقي مقيداً بزمن حياة الولي الحياة الدنيوية.

فالجواب: لما كانت الكرامة من الله، ثبت أنها لا تنقطع بموت ولا بحياة، بل هي دائمة مستمرة بقدرة الله عز وجل، هذا بشأن الولي، وأما بشأن النبي ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام حي في قبره، منعم متصرف كتصرفه حال حياته الدنيوية، ولا يشك بذلك من له شمة من علم السنة، أو بارقة من نور التوفيق، وقد صنف الحافظ، الحجة، الإمام،

(١) البخاري (٦٥٠٢)، بلفظ: (وما يزال عبدي).

جلال الدين السيوطي[1] رحمه الله، كتاباً في حياة الأنبياء[2] عليهم الصلاة والسلام، أشبع الكلام فيه على المقصود فليراجع.

وقد صح أنَّ المصطفى ﷺ، رأى موسى عليه السلام، قائماً يصلي في قبره ليلة الإسراء[3]، ثم رآه تلك الليلة في السماء[4].

وقد سمع ابن المسيب[5]، رحمه الله ورضي عنه، أيام الحرة الأذان،

---

(١) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٢)

(٢)كتاب «إنباء الأذكياء في حياة الأنبياء عليهم السلام» للسيوطي، وللبيهقي أيضا كتاب «حياة الأنبياء في قبورهم».

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٧).

(٤) رواه البخاري (٣٢٠٧).

(٥) الإمام، العلم، أبو محمد القرشي، المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، سعيد بن المسيب بن حزن (١٥هـ -٩٤هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٢١٧).

من قبر النبي ﷺ، مراراً[1]، و وقف هلال بن حارث المزني[2]، أحد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، أمام قبر النبي ﷺ، وقد أصاب الناس قحط، وكان ذلك في زمان سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه، فقال: "يا رسولَ اللهِ اسْتسقِ اللهَ لأمتِكْ، فإنَهُم قَدْ هَلَكُوا"، فأتاهُ رسولُ الله ﷺ، في المنام فقال: «ائْتِ عمرَ فاقرأْهُ السلامَ، وأخبرْهُ أنهم يسقون»، والقصة طويلة شهيرة، ذكرها البيهقي[3]وابن أبي شيبة[4]وسيف[5]وغير واحد، فقد طلب هذا الصحابي الجليل رضي الله

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٢٢٨).

(٢) الصواب: بلال بن الحارث المزني، كما ذكر ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: وقد روى سيف في الفتوح أنَّ الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة «فتح الباري» (٢/ ٤٩٦).

(٣) «دلائل النبوة» (٧/ ٤٧).

(٤) الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار: «المسند» و«المصنف» و«التفسير»، عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان، خُوَاسْتَى، ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم (٣٢٠٠٢).

(٥) سيف بن عمر التميمي، مات في زمن الرشيد «تقريب التهذيب» لابن حجر (٢٧١٨).

عنه، من النبي ﷺ ، وهو في البرزخ الدعاء لربه، علماً بأنه حي عليه الصلاة والسلام، وأن دعاءَه غير ممتنع، وأنه يسمع كلامه ويراه.

وقد نص الحافظ السيوطي، على أن النبي ﷺ، متصرف بعد موته في العالم، العلوي والسفلي، بإذن الله تعالى.

قال في المواهب[(١)]: وقد ثبت أن الأنبياء يحجون ويلبون[(٢)]، وأخرج أبو يعلى[(٣)] في مسنده، عن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهِمْ يُصَلُّوْنْ»[(٤)]، وقد أخبرنا ﷺ، -وخبره صدق وقوله حق-، أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه، وأنه يرد على من سلَّم عليه السلام.

---

(١) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني.

(٢) «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢/ ٣٩٢).

(٣) الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، التميمي، الموصلي، محدث الموصل، وصاحب «المسند» و «المعجم» (٢١٠هـ - ٣٠٧هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ١٧٤).

(٤) «مسند أبي يعلى» (٣٤٢٥).

وأخرج ابن بكار[1] في «أخبار المدينة» عن سعيد بن المسيب قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله ﷺ أيام الحرة حتى عاد الناس[2].

ونص الحافظ السيوطي: في كتابه «التنوير»[3]، وفي «الشرف المحتم»[4]، يسلسل ذلك بطرق ثلاث، ومثله نص الحافظ ابن الحاج

---

(١) العلامة الحافظ النسابة، قاضي مكة وعالمها، أبو عبد الله، الزبير بن بكار القرشي الأسدي الزبيري. (١٧٢هـ - ٢٥٦هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/ ٣١١).

(٢) لم أجد الكتاب، لكن الإمام السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢/ ٤٩٠)، و«شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» صفحة (٢٠٩)، و«الحاوي للفتاوي» (٢/ ١٧٩)، وتقي الدين أبو الطيب المكي في «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» (٢/ ٤٦٣)، والزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (٧/ ٣٦٥)، عزوا هذه الحادثة الى الزبير بن بكار في كتابه «أخبار المدينة».

(٣) كتاب «تنوير الحلك في رؤية النبي والملك» للسيوطي صفحة (٥١).

(٤) كتاب «الشرف المحتم فيما من الله على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي ﷺ» للسيوطي.

الواسطي[1]، والإمام الوتري[2]، والإمام المناوي[3]، والشهاب الخفاجي[4]، والحافظ تقي الدين الواسطي الأنصاري[5]، والإمام الجزري[6]، والأمير محمد الحسيني أمير المدينة المنورة[7]، والسيد سراج

---

(١) الإمام، الحافظ، قاسم بن أبي بكر، ابن الحاج، الواسطي، الشافعي، في كتابه «أم البراهين في تصحيح اليقين بإشارات الصالحين».

(٢) أحمد بن محمد الوتري الشافعيّ الرفاعيّ، ضياء الدين أبو محمد، الموصلي الأصل، البغدادي الدار، المصري الوفاة، في كتابه «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» (١/ ٢٣٤).

(٣) الإمام عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي، (٩٥٢هـ - ١٠٣١هـ) «فهرس الفهارس» عبد الحي الكتاني (٢/ ٥٦٠).

(٤) العالم، الفاضل، المحقق، شهاب الدين، أحمد بن محمد، الخفاجي، المصري، (٩٧٧هـ - ١٠٦٩هـ) «طبقات المفسرين» للأدنه وي رقم (٥٧١)، و«الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

(٥) شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد، الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٣٣٣).

(٦) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٣).

(٧) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة لدي.

الدين[1]، وخلائق، أن قطب الأقطاب، وغوث الوجود بلا ارتياب، مولانا السيد أحمد محي الدين الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه، لما حج وقف تجاه قبر جده المصطفى ﷺ، فقال: السلام عليك يا جدي، فقال له عليه الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من حضر، فلما منَّ عليه جده، عليه الصلاة والسلام بالجواب، طاب لذلك وحنَّ وأنَّ ، وجثا على ركبتيه واصفر وأرعد ، ثم قام وأنشد :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده المباركة من قبره، فقبلها والناس ينظرون.

(١) لعله السيد سراج الدين المخزومي، شيخ الإسلام في عصره، محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي الرفاعيّ الحسيني، (٧٩٣هـ - ٨٨٥هـ) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٣٨).

قال الصَفُّوري[1]: في «نزهة المجالس»[2]، والسيوطي[3]في «الشرف المحتم»، والإمام الرافعي[4]في «مختصره»، والفاروثي[5]في «نفحته»، والواسطي[6]في «ترياقه»[7]، وغير واحد ما ملخصه: "ويخشى على منكر هذه القصة، سوء العاقبة -والعياذ بالله- لإنكاره ما أكرم الله به

---

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري الشافعيّ، توفى سنة (٨٩٤هـ) «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣١٠).

(٢) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس».

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٢).

(٤) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني، الشافعي، (٥٥٧هـ - ٦٢٣هـ) «الأعلام» للزركلي (٤/ ٥٥).

(٥) الصوفي، الإمام، العلامة، الواعظ، المفسر، الخطيب، عز الدين، أبو العباس، أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج، الواسطي، الشافعي، المقري (٦١٤هـ -٦٩٤هـ) «الوافي بالوفيات» للصفدي (٦/ ١٣٨).

(٦) الإمام، المفتي، الشيخ تقي الدين، أبو الفرج الواسطِي، محدث واسط، عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر بن شهاب، الشافعي، (٦٧٤هـ - ٧٤٤هـ) «الوافي بالوفيات» للصفدي (١٨/ ١٠٤).

(٧) «ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين».

نبيه المصطفى ﷺ ، ووليه السيد أحمد الرفاعي، رضي الله عنه"[1] وما أحسن ما قاله وليُّ الله، العارف بالله، الشيخ تقي الدين الفقيه[2]، الفُقِّير النهروندي، من قصيدة امتدح بها شيخه، شيخ الكل في الكل، السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، عام عوده من الحجاز، سنة مد اليد النبوية له قدس الله سره:

مد طه يمينه للرفاعي فانجلت عندها له الأشياءُ

يا لها من يمين قدس نزيهٍ يشتهي شم عطرها الأنبياءُ

قد تجلى الله المهيمن لما ظهرت وازدهت لذاك السماءُ

---

(١) يراجع «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (٢/ ١٩٠)، و«الشرف المحتم» صفحة (٢) للسيوطي طبعة دار البرهان.

(٢) الفقيه، الصوفي، الشيخ تُقَيُّ الدين الفُقَيِّر، النهروندي، الواسطي، العراقي، المسمى بمكي الشافعي «العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية» أحمد عزت باشا صفحة (٧).

ومنها:

لا تقل كيف تم هذا وأيقن يفعل الله ربنا ما يشاءُ
واهجر المارقين واعذر إذا ما أنكر الشمس مقلة عمياءُ
أيكون النبي ميتاً وفي القرآن أحياء ربها الشهداءُ
وبمد اليمين لابن الرفاعي حجة في مقامها سمحاءُ
شهدتها المساء آلاف قوم ورآها الأقران والأكفاءُ
صار ذاك المسا صباحاً فما يوماً فيه الصباح مساءُ
فرح الدين والهدى وطريق الحق بل والشريعة الغراءُ
وتعالى شأن النبي المفدى وتلاشت بطبعها الأهواءُ

. انتهى

والقصيدة طويلة والقصة شهيرة[1].

هذا وأنّ خلَّص أهل السنة والجماعة، وأعيان أولياء الأمة، وأكابر حملة الشريعة المطهرة، يعتقدون حياة الأنبياء، -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، ويخصون بكثرة المزايا في الحياة البرزخية، نبينا المصطفى ﷺ، ويجزمون بحياته وتصرفاته، بل ومنهم من رآه عياناً، ومنهم من كلمه واستفتاه صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه ومحبيه، وسلم تسليماً كثيراً.

وما أدري ما الذي يضر بعض المتفقهة من هذه الخصوصية التي أعطاها الله لنبيه ﷺ، ولسائر النبيين والمرسلين، صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين، بل لا أشك أن إنكارها من سواد الحجب المركبة على قلوبهم، أحدثتها نخوتهم الكاذبة، وانتصارهم لأنفسهم، ومخالفتهم لجمهور المسلمين، العارفين بحقوق نبيهم ﷺ، ليعرف بذلك اسمهم، ويقال أنهم علماء من قبيل "خالف تعرف"، وإن كان القول بذلك منهم

(١) القصيدة كاملة في كتاب «العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية» لأحمد عزت باشا صفحة (٦)، و «الشرف المحتم» للسيوطي صفحة (٦).

من الحسد لسلطان الرسالة، فهو الضلال البعيد.

اللهم أكرمنا بمعرفة قدر نبيك ﷺ، وارزقنا حقيقة الأدب معه، عليه الصلاة والسلام، ومع إخوانه النبيين والمرسلين، ومع أوليائك الصالحين أجمعين، واحشرنا معهم يا رب العالمين.

۞ ۞ ۞ ۞

فصلٌ

[في جواز الاستمداد من الأولياء والصالحين]

وبقي هنا الكلام على جواز الاستمداد[1] من الأولياء الأحياء منهم والأموات:

وهذا سبق ما يؤيد جوازه بنصوص عديدة، ويكفي في جواز ذلك، أمر النبي ﷺ ، لسيدنا عمر، ولسيدنا علي رضي الله عنهما، أن يسألا أويساً القرني، رضي الله عنه الدعاءَ[2]، هذا مع كونهما أفضل وأعظم منه، وما ذلك إلا لإعلام المسلمين، أن طلب الدعاء من الصالحين جائز، وهل الاستمداد إلا طلب دعاء الولي؟، وأن يجمع همته فيتوجه إلى الله تعالى بقضاء حاجة المستمد؟، وعلى هذا، فالاستمداد من الأموات، أسرع عندي لقضاء الحاجة، على أنهم في بساط التخلي لله تعالى عن الأكوان، وسماعهم لكلام الحي ثابتٌ، وقد سبق دليله، وهنا بحثٌ جيدٌ، وهو أنَّ وقوع الكرامات للأولياء رضي الله عنهم، ثابتٌ

---

(١) استمد الْقومُ الْأميرَ: طلبُوا منه مددا ومعونة. «المعجم الوسيط» (٢/ ٨٥٨).

(٢) راجع صحيح مسلم رقم (٢٥٤٢).

بنصوص الكتاب والسنة، وبالتواتر القطعي الذي لا يُدَافَع، ولو أردنا نقل الأدلة والأخبار الواردة بذلك، لكتبنا عدة مجلدات، وأظن أن هذا الأمر مما لا نزاع فيه، فإذا ثبت وقوع الكرامة للولي، وقد تقرر أن الكرامة من الله تعالى، وهو مظهر لها أي محل لظهورها، فما المانع من اختياره محلاً لظهورها حياً كان أو ميتاً، وجعل اللهُ العبد ولياً، إنما هو امتنان عليه بالسعادة الأزلية، والأولياء هم أعز المخاطبين بقوله تعالى: ﴿نَحنُ أَولِيَآؤُكُم فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَفِي ٱلأَخِرَةِ﴾(١)، وقد فسر القاضي البيضاوي(٢) رحمه الله رحمة واسعة، {وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقَا}(٣)، إلى قوله: {فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمرا}(٤)، "بصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة، فإنها تنزع عن الأبدان غرقاً، أي نزعاً شديداً، من أغْرق النازع في القوس، فتنشط إلى عالم الملكوت، وتسبح فيه فتسبق إلى حظائر القدس، فتصير

---

(١) [فصلت: ٣١].

(٢) محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الله، الْبَيْضَاوِيّ، الشافعي، توفى سنة(٤٧٠هـ) «الوافي بالوفيات» للصفدي (١/ ٢١٣).

(٣) [النازعات: ١].

(٤) [النازعات: ٥].

بشرفها وقوّتها من المدبرات"[1]، فإذا كان كذلك، والله سبحانه كرماً منه وفضلاً، أعطى أرواح أوليائه هذه القوّة، وجعلها في حظائر قدسه مدبرة للأمور بإذنه وإرادته، فما المانع من الاستمداد منها، وما أدري ما يريد المغالط؟ أيزعم تحكماً في عقائد المسلمين أن يجعل المستمد من الولي الميت أو الحي أنه اتخذه إلهاً يعبد؟، وعكف على بابه معتقداً أنه يحي ويميت، ويعطي ويمنع، ويرزق ويقطع ويصل استبداداً منه من دون أمر الله وإرادته، وأنه هو الآمر المريد، فإن كان هذا زعمه، فقد أدخل التلبيس في الدين، وشوّش عقائد الموحدين، وهم براء مما دلّسه في عقائدهم، ولا يظن هذا الزعم الباطل بمسلم من أهل السنة والجماعة أصلاً، سواء كان عالماً أو جاهلاً، بل كل فرد من أفراد المسلمين يعتقد أن الله هو الفعال المطلق، وغيره لا يقدر على تحريك شيء، ولا على تسكينه إلا بإذنه سبحانه، وأمره وهو تعالت قدرته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وموافقة لغرض بعض المشدّدين من الفقهاء الذين اتخذوا هذه

(١) تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٥/ ٢٨٢).

الدعاوى حرفة، شدّدوا فيها على الناس وهم فيما هم عليه من الأعمال، أجرأ الناس على موافقة أهوائهم، نقول وقولنا حق بمعونة الله سبحانه: أنَّ من كان يعتقد ما أوهمه المدعي، من أن المستمد منه -أعني الولي- هو الفعال للمطلوب دون الله، وهو المؤثر فهو عندنا وعند جميع الأمة المحمدية كافر بلا ريب، ولكن لا يشك صاحب عقل في أنه لو قيل: لأجهل الناس من المسلمين، الولي الذي استمديت منه في حاجتك هو الفعال أم الله؟ فلابد أن يقول حاشا أن يكون الفعَّال الولي، بل الفعَّال هو الله سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁ ❁

فصلٌ

[في أدلة زيارة قبور الأولياء للتبرك والتوسل بها]

وأما زيارة قبور الأولياء للتبرك بها والتوسل:

فالجواب: أنَّ زيارةَ القبور مطلقاً، أجازها الشارع الكريم ﷺ، والخبر مشهور، وتخصيص زيارة قبور الأولياء والصالحين بالجواز داخل بذلك العموم، واستحسانه أكثر من زيارة قبور العامة مبني على اعتقاد قرب أولياء الله من الله، ومحبتهم له، ومحبته سبحانه لهم، وعلى هذا فالزيارة لهم لأجل الله تعالى، والنبي ﷺ، قال حاكياً عن ربه تعالى: «حقت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتزاورين فيَّ»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «زر في الله، فإنَّ من زار في الله شيعه سبعة وسبعون ألف ملك، يقولون: "اللهم صله كما وصله فيك" وناداه

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» رقم (٢٢٠٠٢).

مناد، طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة مقعداً»[1].

ولا ينافي هذا قول رسول الله ﷺ: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»[2].

على أن النهي وقع في شدِّ الرّحال للصلاة إلى مسجد غير هذه المساجد الثلاثة لا غير، أعني على سبيل الإعظام والتمييز بالفضيلة على مساجد غيره اجتهاداً، من شاد الرحل، يريد أن يحدِث فضيلةً مخصوصةً لمسجد غير هذه الثلاثة على ما سواه، وإلا فلا مانع من زيارة قبور الأولياء والصالحين للتبرك بها والتوسل، إذ الزيارة لوجه الله تعالى، وقد

---

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في الكتب المتوفرة لدي، والحديث الوارد بهذا المعنى ما رواه أبو داود في «سننه» رقم (٣٠٩٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٤٤٢) واللفظ له، و أحمد في «مسنده» رقم (٦١٢)، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي، قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: «مَنْ أَتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، عَائِدًا، مَشَى فِي خَرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ».

(٢) رواه مسلم (٨٢٧).

سبق لك ما نقله الإمام ابن الجوزي[١]، وذكره الخطيب البغدادي[٢] أيضاً في «تاريخه»، أيضاً كلٌّ بسندهِ إلى رجل من الثقاة[٣]يقول: ما همني أمر، فقصدت قبر موسى بن جعفر، يعني الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق -عليهما السلام والرضوان- فتوسلت به، إلا سهَّل الله سبحانه لي ما أحب[٤].

وذكر الخطيب البغدادي رحمه الله ونفعنا به، في «تاريخه» وقد رفع السند إلى أحمد بن العباس[٥]قال: "خرجت من بغداد، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة، فقال لي: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد، هربت منها لما رأيت الفساد، خفت أن يخسف بأهلها، فقال: ارجع ولا تخف، فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله عز وجل، هم حصن لهم من جميع البلايا، قلت: من هم؟ قال: هم الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف

---

(١) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٢)

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة (٥٧)

(٣) هو الحسن بن إبراهيم الخلال، تقدمت ترجمته في صفحة (٥٦)

(٤) راجع الحاشية رقم (١) من صفحة(٥٩)

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة لدي.

الكرخي، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار، فرجعت وزرت القبور، ولم أخرج تلك السنة"[1].

وذكر الخطيب البغدادي أيضاً بسنده عن أبي يوسف بن حبان[2]، قال: وكان من خيار المسلمين، أنه قال: لما مات أحمد بن حنبل، رأى رجل في منامه، كأن على قبره قنديلاً فقال: ما هذا؟ فقيل له: أما علمت أنه نُوِّرَ لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم؟، قد كان فيهم من يعذب فرحم[3].

ونقل بسنده، عن الإمام محمد الزهري[4] أنه قال: "قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج"، ويقال أنه: "من قرأ عنده مائة مرة

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١/ ٤٤٣).

(٢) الصواب: ابن بختان، وكان أحد الصالحين الثقات، أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن بختان «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ٤١٥).

(٣) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١/ ٤٤٤).

(٤) الصواب: عن أبي الفضل، عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري، عن أبيه. «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١/ ٤٤٥).

{قل هو الله أحد}، وسأل الله ما يريد، قضى الله تعالى حاجته"[1].انتهى

وذكر الإمام الجليل، الشيخ أبو الحسن علي الواسطي الشافعي[2]قدس سره، وهو الذي قال فيه الحافظ الذهبي:[3]، "كبير الشأن، منقطع القرين، كلمةِ وِفَاق"[4]، يريد أنه لا يختلف اثنان في فضله وجلالة قدره، في كتاب «خلاصة الإكسير» عند ذكر سيدنا الإمام موسى الكاظم عليه السلام والرضوان، ما نصه: "ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله، لنجح المتوسلين به إلى الله تعالى، وكراماته تحار

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١/ ٤٤٥).

(٢) أبو الحسن الواسطي، علي بن الحسن بن أحمد الشَّافعي، توفى سنة (٧٣٣هـ) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٤٤).

(٣) الشيخ شمس الدين الذَّهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (٦٧٣هـ - ٧٤٨هـ) «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).

(٤) لم أجد هذا النص في كتب الإمام الذهبي، لكن الإمام ابن حجر العسقلاني عزى هذا القول للذهبي في ترجمة الإمام أبي الحسن علي الواسطي، في «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٤/ ٤٤).

منها العقول، وتقضي بأن له قدم صدق عند الله لا يزول[1].انتهى

ورأى الإمام البجلي[2]رحمه الله، رسولَ الله ﷺ، في المنام فقال له عليه الصلاة والسلام: «وقوفك بين يدي ولي لله كحلب شاة، أو كشي بيضة، خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرباً إرباً، قال: حياً كان أو ميتاً يا رسول الله؟ قال حياً كان أو ميتا[3].

---

(١) «خلاصة الإكسير في نسب الغوث الرفاعي الكبير» لأبي الحسن الواسطي صفحة (١٣).

(٢) أبو جعفر البجلي، محمد بن الحسين بن معدان، يعرف بمهيار الوراق، «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٣/ ٦١٩).

(٣) هذه القصة عزاها الإمام، نجم الدين الغزي، في كتابه «حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٣/ ٢٧٦) قال: وذكر سيدي محمد بن عراق رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ«السفينة العراقية المشحونة بنفائس الآي القرآنية الجارية بالأنفاس النبوية»، عن الفقيه الأجل محمد بن الحسين البجلي: أنه رأى رسول الله ﷺ، في المنام قال: فقلت: "يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟" قال: «وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله تعالى كحلب شاة، أو شي بيضة خير لك من أن تعبد الله إرباً إربًا». قال: فقلت: "يا سيدي! حيا كان أو ميتًا؟" قال: «حَيًّا كانَ أَوْمَيْتاً». انتهى بنصه =

قلت: غيرُ العبادات المفروضات، وكأن زيارة الولي والوقوف بين يديه أفضل من النوافل، لأنها لله تعالى ومحبته فيه سبحانه، فمن كان يتبرك لوجه الله بزيارة الأولياء والصالحين، ويضرع بهم إلى الله، ويحبهم لأجله، ويعتقد أن لهم قدم صدق عند ربهم، ولهم ما يشاؤون عنده، وهو سبحانه وتعالى الفعَّال المقتدر، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فلا بأس عليه، بل ويرجى له الخير والعناية من الله عز وجل ببركتهم رضوان الله عليهم، والمعترض عليه واهم.

= قلت: وهذا مما لا يعترض عليه، كما فعل الجاهلون في زماننا، أنهم أنكروا هذه الرؤية، بل وحكموا على بطلانها، وأنها حديث موضوع لا أصل له، ولعمري؟، كيف يحكمون على رؤية منامية رآها أحد العارفين؟، وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٦٩٩٤)، أن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتخيل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة» المحقق.

وأما من عكف على هذا القبر المزين، وانقطع له عن الله عز وجل، وظن أن الميت المدفون فيه، يفعل ويصل ويقطع بغير أمر من الله، وهو المستبد بالفعل والآمر بنفسه، فهو لا ريب من الضالين، والله ولي المتقين.

۞ ۞ ۞ ۞

فصلٌ

[في أدلة جوازاستخدام السُّبْحَة]

وأما جواز استعمال السُبْحة[١]:

فالجواب: ألف الحافظ السيوطي[٢]رسالة سماها «المنحة في السبحة» قال فيها: أخرج الترمذي[٣]، والحاكم[٤]، والطبراني[٥]عن صفية[٦] رضي الله عنها قالت: "دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهنَّ، فقال: «ما هذا يا بنت حيي؟» قلت أسبح بهنَّ قال: «قد

(١) سُبْحة: جمع: سُبُحات وسُبْحات وسُبَح: خرزات منظومة في خيط يعدّ بها المُسبِّح مرّات التسبيح «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٢/ ١٠٢٤) مادة: (س ب ح)، «المعجم الوسيط» (١/ ٤١٢). باب: (السين)

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٢)

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة (٥٠)

(٤) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٧)

(٥) تقدمت ترجمته في صفحة (٤٨)

(٦) صفيّة بنت حييٍّ بن أخطب بن سعية أم المؤمنين، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/ ٢٣١).

سبحتُ منذ قمت على رأسك أكثر من هذا»، قلت: علمني يا رسول الله، قال: «قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء»"[1] والحديث صحيح.

قلت: وذكر جملة أحاديث مؤيدة لهذا الحديث الشريف، ومن هذا ثبت أن للسبحة أصلاً في السنة، وقد أقرَّ رسول الله ﷺ، صفية رضي الله عنها على التسبيح بالنوى، ودلها على ما هو أشمل وأكثر جمعاً، أو كان ذلك من خصوصياته، عليه الصلاة والسلام، وإلا فقد اختار الأكثرون التسبيح بالعدد، وقالوا فيه فضيلة عن التسبيح المجمل، ولو كان مشتملاً على البلاغة والإيجاز، لأن الأول من أَجْزَ الأعمال وهو أفضلها.

وأخرج ابن سعد[2]، عن حكيم، أن سعد بن أبي وقاص رضي الله

---

(١) الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٧٤).

(٢) الحافظ، العلامة، الحجة، أبو عبد الله البغدادي، محمد بن سعد بن منيع، كاتب الواقدي، ومصنف: «الطبقات الكبير» في بضعة عشر مجلدا، و «الطبقات

عنه، كان يسبح بالحصى[1].

وأخرج ابن سعد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه كان يسبح بالنوى المجزّع[2].

قلت: والمجزَّع لغة: الذي حك بعضه حتى ابيض، فترى النواة بعضها فيه سواد، وبعضها فيه بياض[3].

وقد أطبق السلف والخلف من أعيان القوم الأكابر، على اتخاذ السبحة، ولم ينقل عن أحد من السلف الصالح، بل ولا من الخلف، المنع من جواز عدّ الذكر بالسبحة، بل كان أكثرهم يعدّون الذكر بها، ولا يرون بذلك من بأس، وشوهد بعضهم يعدّ الذكر بالسبحة، فقيل له أتعدّ على الله؟ فقال: لا ولكن أعد له، رحمه الله ما أحسن جوابُهُ،

الصغير»، وغير ذلك. (١٦٨هـ - ٢٣٠هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٦٦٤).

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٠٦).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥/ ٢٤٧).

(٣) «تاج العروس» (٢٠/ ٤٣٨) مادة (ج ز ع).

وخلاصة الجواب، لما جاء الأمر في السنة بذكرٍ معدود، في مواطن كثيرة، ولم يرد نهي صريح عن اتخاذ السبحة، وصارت سبباً لأداء الوظيفة المأمور بها شرعاً حسن استعمالها، ولا حجة لمانع اتخاذها، والله ولي الهداية والتوفيق.

❁ ❁ ❁ ❁

فصلٌ

[في جواز الصلاة على السُّجَّادَة]

وأما جواز الصلاة على السجادة في المساجد أعني السجادة التي تحمل للمشايخ وغيرهم إلى المساجد:

فالجواب: جاء في صحيح البخاري بالسند، عن ميمونة رضي الله عنها، قالت: "كان -تعني النبي ﷺ-، يصلي على الخُمْرة"[1].

قال الشارح، الإمام القَسْطَلاني[2]رحمه الله: "الخُمْرة: بضم الخاء المعجمة، وسكون الميم، سجادة صغيرة من سعف النخل، ترمل بخيوط، وسميت خمرة لأنها تستر وجه المصلي عن الأرض.[3] وجاء غير ذلك في صحيح البخاري من الأحاديث والأخبار الشريفة الدالة

(١) صحيح البخاري رقم (٣٨١).

(٢)أحمد بن محمد بن أبي بكر، القسطلاني الأصل، المصري الشافعي، ويعرف بالقسطلاني. (٨٥١هـ - ٩٢٣هـ) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٢/ ١٠٣).

(٣)«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (١/ ٤٠٥).

على جواز الصلاة على السجادة دلالة صريحة، وقد اتفق أهل العلم من المحدثين والفقهاء، على جواز الصلاة على السجادة، سواء كانت منسوجة من سعف النخل، أو غيره كالقطن والشعر والصوف، ولا عبرة بقول من قال بالكراهة، لأن الجمهور على خلافه، نعم صرح السلف بأفضلية الصلاة على الأرض، ثم على ما صنع من جنس ما يخرج منها، كسعف النخل والقطن وغيرهما، وأن ذلك أفضل من الصلاة على ما صنع من الصوف والشعر وغيرهما، ولم يكن اتخاذها للصلاة إلا للنزاهة عن الأقذار، ولهذا ذهب صاحب «الدر»[1] فقال: "حمل السجادة في زماننا أولى احتياطاً، لما ورد أول ما يسئل عنه في القبر الطهارة وفي الموقف الصلاة". انتهى

---

(١) كتاب «الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار» صفحة (٥١) ط.دار الكتب العلمية، لمحمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بـ(علاء الدين الحصكفي)، الحنفي، المتوفى سنة (١٠٨٨هـ).

فهذا دليل باهر واضح، على استحباب حمل السجادة فضلاً عن جوازها، ولا ريب فالأعمال بالنيات، والله عالم الخفيات وبهذا كفاية، وحسبنا الله وكفى.

❁ ❁ ❁ ❁

فصلٌ

[في أدلة تقبيل يد الشيخ]

وأما جواز تقبيل يد الشيخ:

فالجواب: صح أنَّ النبي ﷺ، قبّل سرةَ الحسن[1]رضي الله عنه، والسيد الصديق رضي الله عنه، قبّل خد سيدتنا عائشة[2]رضي الله عنها، حين وجدها محمومة، والتقبيل على أقسام:

فما كان للشهوة فلا شك في تحريمه، ما لم يكن التقبيل للزوجة أو لمن يحل للمقبل وطؤها.

وما كان للشفقة، كتقبيل الوالد ولده، والجد حفيده، فذلك جائز بدليل

---

(١) روى ابن حبان في صحيحه رقم (٦٩٦٥) عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَلَقِينَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ: اكْشِفْ لِي عَنْ بَطْنِكَ، جُعِلْتُ فِدَاكَ حَتَّى أُقَبِّلَ حَيْثُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُهُ، قَالَ: فَكَشَفَ عَنْ بَطْنِهِ فَقَبَّلَ سُرَّتَهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِنَ العورة ما كشفها.

(٢) روى أبو داود في «سننه» رقم (٥٢٢٢)، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: «كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟ وَقَبَّلَ خَدَّهَا»

تقبيل النبي ﷺ، السبطين الكريمين[1] رضي الله عنهما.

وما كان لإظهار المودة، فهو ملحق بهذا القسم المذكور، وذلك كتقبيل النبي ﷺ، جعفر بن أبي طالب بين عينيه كما في شعب الإيمان[2].

وما كان لتعظيم، فإن كان لسيدٍ علويٍ، أو عالمٍ أو إمامٍ عادل، أو صالحٍ، فجائزٌ بلا ريب.

أخرج أبو داود، والبخاري في «الأدب المفرد» عن زراع[3] رضي الله عنه، وكان في وفد عبدِ القيس قال:" لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر

(١) أخرج الحاكم في «المستدرك» رقم (٤٧٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، هَذَا عَلَى عَاتِقِهِ وَهَذَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ يَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِّ، إِنَّكَ تُحِبُّهُمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي رقم (٨٥٦٠).

(٣) الصواب: زارع، زارع بْن عامر العبدي من عبد القيس، كنيته أَبُو الوازع. (أسد الغابة في معرفة الصحابة) ط. دار الكتب العلمية (٢/ ٣٠١) رقم (١٧٢٢).

من رواحلنا، فنقبل يد رسول الله ﷺ "(١)، وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بعد أن ذكر قصة، "فدنونا من النبي ﷺ، فقبّلنا يديه" أخرجه أبو داود(٢). وأخرج أبو داود أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها، "أن فاطمة رضي الله عنها، كانت إذا دخل عليها النبي ﷺ، قامت إليه فأخذت يده فقبلتها"(٣)، وفي هذا الخبر المبارك، دلالة صريحة على جواز تقبيل يد الوالد، والقيام له.

وروى الطبراني، عن كعب بن مالك رضي الله عنه، "أنه لما نزل عنده النبي ﷺ فأخذ بيده فقبّلها"(٤)، وأخرج الحاكم وصححه في مستدركه عن بريدة، أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقبّل رأسَه ورجلَيه(٥)، وفيما أخرجه

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٧٥)، أبو داود رقم (٥٢٢٥)

(٢) أبو داود رقم (٥٢٢٣).

(٣) أبو داود رقم (٥٢١٧).

(٤) الطبراني «المعجم الكبير» (١٩/ ٩٥).

(٥) الحاكم «المستدرك» (٧٣٢٦).

الترمذي، "أن قوماً من اليهود قبّلوا يد النبي ﷺ ورجليه"[1].

وهذه الأخبار الصحيحة، من أعظم الدلالات على جواز تقبيل يد صاحب الشرف الديني، كالفاطمي، والعالم العامل، والإمام العادل، بل وعلى جواز تقبيل أرجلهم أيضاً، وإن الذي يمنع التقبيل إنما يستند إلى أنه تعظيم لغير الله، وتعظيم غير الله تعالى حرام، وهذا من التشديد، إذ لو كان كذلك مطلقاً لكان النبي ﷺ، أولى بالتنزه عن ذلك، وما المانع من تكريم النوع الآدمي لوجه الله، والله تعالى يقول {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ}[2].

وهنا سر لطيف، وهو أن من عظَّم غير الله، تعظيماً يدفع فاعله لمخالفة أمر الله، فقد وقع في خطر التحريم، وحاد عن الطريق المستقيم، وإلا فتعظيم المخلوق للمخلوق تعظيماً لا يدفع لمخالفة الأوامر الإلهية، وكان ذلك التعظيم لله، ففاعله مثاب مأجور، كما وقع ليحيى بن

---

(١) الترمذي (٢٧٣٣).

(٢) [الإسراء:٧٠].

الحارث[1]، فإنه لقي واثلة بن الأسقع[2] رضي الله عنهما، فقال لواثلة: "بايَعَتْ يَدُكَ يَدَ رسولِ الله ﷺ؟" فقال: "نعم"، فقال يحيى له: "أعطني يدك أقبلها"، فأعطاه إياها وقبلها[3]، وقبَّل عمر رأس أبي بكر رضي الله عنهما، وقال له: "أنا فداؤك، ولولا أنت هلكنا"، نقل ذلك المحب الطبري ورجال إسناده ثقاة[4]، وركب زيد بن ثابت، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهم، بركابه فقال: "لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ،" فقال: "هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبّل زيد بن ثابت يده، وقال: "هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ[5]"، وقول كلٍ من هذين الصحابيين الجليلين رضي الله عنهما، "هكذا أُمِرنا" يدل على أن الأمرَ بذلك من رسول الله ﷺ، إذ ليس للصحابي من آمر في الشرع غيره،

(١) الإمام الكبير، إمام جامع دمشق، وشيخ المقرئين، أبو عمرو الغساني، يحيى بن الحارث، توفي سنة(١٤٥هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦/ ١٨٩).

(٢) من أصحاب الصفة، واثلة بن الأسقع بن كعب الليثي، (٩هـ - ٨٣هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٣٨٦).

(٣) الطبراني «معجم الكبير» (٢٢/ ٩٤).

(٤) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ١٤٨).

(٥) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣/ ١٩٠).

عليه الصلاة والسلام، وقد وقع تقبيل الرأس واليد بين أصحاب رسول الله ﷺ، ودرج على ذلك التابعون والمجتهدون وأكابر السلف بلا نكير، فعلى هذا، تقبيل يد الشيخ والمعلم، والوالد والشريف والإمام، جائز بلا نزاع، وإذا كان ذلك بنية التعظيم لله سبحانه، تأسيّاً بأصحاب نبينا ﷺ، والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، ففيه ثواب، بل ويعدُّ من فضائل الأعمال، وإذا كان لغير العالم أو الشريف، والإمام والوالد والمرشد والولد، أو للصديق للتودد، فهو حرامٌ، والأمور باعتبار مقاصدها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❁ ❁ ❁ ❁

فصلٌ

[في تصرّف الأولياء الأموات]

وأما ما نقله بعضهم من تصرف أربعة من الأولياء في قبورهم كتصرف الأحياء:

فالجواب: التصرف الذي عناه مدّعي التصرف لهؤلاء الأولياء الأربعة خاصة، هو التمكن من إظهار الكرامة، فأما وقوع الكرامة للأولياء بعد الموت، فقد سبق الدليل على جوازه، ومما يؤيد جواز وقوع الكرامة للأولياء بعد الموت، قولنا أنَّ وقوع الكرامة بعد الموت أمر ممكن، وكرامات الأولياء حق، وكل ممكن جائز، ولا يمكن القول بعدم جواز وقوع الكرامة لكونها مخلوقة لله تعالى ومقدورة له، وهي من جملة الممكنات، وقدرة الله تعالى متعلقة بجميع الممكنات إيجاداً وإعداماً، هذا

ما أفاده كلام المحقق التفتازاني[١]وغيره[٢].

وعلى هذا، فلا فرق في وقوع الكرامة للولي حياً كان أو ميتاً، وثبت ذلك لجميع الأولياء، رضي الله عنهم، وهؤلاء الأربعة من الأولياء، فهم أيضاً داخلون في عموم الأولياء.

قال العلامة الإمام الوَتَري[٣]قدس سره في كتابه «روضة الناظرين» في ترجمة القطب الشيخ حياة بن قيس الحراني[٤]قدس سره النوراني:" قال فيه جماعة من الصوفية، أنه أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم، كتصرف الأحياء، وهم على ما يقولون: الشيخ عقيل

---

(١) الإمام العلامة، مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التَّفْتَازَانِيّ، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والْبيان والأصلين والمنطق وغيرها، شافعيّ. (٧١٢هـ – ٧٩١هـ) «بغية الوعاة» للسيوطي (٢/ ٢٨٥)،

(٢) يراجع «الاقتصاد في الاعتقاد» ط. دار المنهاج، صفحة (٤٩).

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة (٧٧)

(٤) الشيخ، القدوة، الزاهد، العابد، شيخ حران وزاهدها، حياة بن قيس بن رجال بن سلطان الأنصاري. توفى سنة (٥٨١هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ١٨١).

المنبجي[1] ، والشيخ حياة بن قيس الحراني[2]، والشيخ عبد القادر الجيلي[3]، والشيخ معروف الكرخي[4] رضي الله عنهم"[5].

(١) هو شيخ شيوخ الشام في وقته، تخرج بصحبته من الأكابر منهم: الشيخ عدي بن مسافر، وهو أول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام وأُخِذَت عنه، سكن منبج واستوطنها نيفاً وأربعين سنة وبها مات وبها قبره ظاهر يزار. «الطبقات الوسطى» للشعراني (٣٢٩).

(٢) هو الشيخ الكبير الولي الشهير بحياة بن قيس الحراني، له مالا يحصى من المريدين، وكراماته وأحواله ذهلت منها العقول، انظر: «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (٢/ ٢٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ١٥٧).

(٣) شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح ابن عبد الله الجيلي، ثم البغدادي، الزاهد، (٤٧١هـ - ٥٦١هـ)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي، (٢٠/ ٤٣٩)، «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي، (١/ ٢٩٠).

(٤) من المشايخ الكبار، كان مجاب الدعوة، أبو محفوظ، معروف بن فيروز الكرخي، يقول البغداديون: "قبر معروف ترياق مجرب" توفي سنة (٢٠١). «الرسالة القشيرية» للقشيري، (١/ ٤٢).

(٥) «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» صفحة (٣٧).

ثم قال: "وهذه الكلمة نقلها الشطنوفي[1] في «بهجته» التي صنفها في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله سره، والحال أنَّ سيد القوم الذي برأ الله طريقه من اللوم، مولانا وسيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، نص على أنَّ تصرف الروح لا يصح لمخلوق أصلاً، ولكن الكريم يمنّ على أرواح أوليائه، فيجيب الله الضارع إليه بهم"[2].

قلت: أما نص الإمام الرفاعي رضي الله عنه، الذي أشار إليه الوتري[3] قدس سره، فقد أورده رضي الله عنه، في كتاب «حكمه»[4] الذي تكرم به على خليفته، وأحد أجلاء أصحابه، مولانا الشيخ

---

(١) علي بن يوسف بن حريز، المشهور بالشيخ نور الدّين الشطنوفي، اللَّخْمي الشّافعي، (٦٤٧هـ - ٧١٣هـ) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ١٦٧).

(٢) «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» صفحة (٣٧).

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة (٧٧)

(٤) كتاب «الحكم الرفاعية» شرحه المؤلف وسماه «قلائد الزبرجد في حكم الغوث الرفاعي أحمد»، حققه أحمد رمزه جحا.

الشريف، عبد السميع الهاشمي العباسي[1]قدس الله سره.

وهذا نصه:

"قال بعض الأعاجم من صوفية خراسان، أن روحانية ابن شهريار[2]الصوفي الكبير قدس سره، تتصرف في ترتيب جموع الصوفية، في العرب والعجم، إلى ما شاء الله، ذلك لم يكن إلا لله الوهاب الفعَّال، النيابة المحمدية عند أهل القلوب ثابتة، تدور بنوبة أهل الوقت على مراتبهم، وتصرف الروح لا يصح لمخلوق، إنما الكرم الإلهي يشمل أرواح بعض أوليائه بل كلهم، فيصلح شأن من يتوسل بهم إلى الله قال تعالى، {نَحنُ أَوِيَاؤُكُم فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَفِي ٱلأَخِرَةِ}[3]، هذا الحدّ، إياك

---

(١) عبدالسميع بن أبي تمّام عبدالله بن عبدالسميع الهاشمي، أبو المظفر الواسطي، قرأ القرآن على المبارك بن أطرواس، ورحل إلى بغداد، (٤٦٦هـ - ٥١٥هـ)، «رفع الباس عن بني العباس» للسيوطي، (٧٠).

(٢) أبو علي محمد بن أحمد، بْن القَاسِم، بن فرغذ بن كسرى، من كبار الصوفية، سكن مصر، توفى سنة (٣٢٢هـ) «تاريخ بغداد وذيوله» للخطيب البغدادي (١/ ٢٣٨).

(٣)[فصلت: ٣١].

وإفراط الأعاجم، فإن في أعمال بعضهم الإطراء الذي نص عليه الحبيب، عليه صلوات الله وسلامه، وإياك ورؤية الفعل في العبد حياً كان أو ميتاً، فإن الخلق كلهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، نعم خذ محبة أحباب الله وسيلة إلى الله، فإنَّ محبة الله تعالى لعباده سرّ من أسرار الألوهية، يعود صفة للحق، ونِعْمَ الوسيلة إلى الله سر ألوهيته وصفة ربوبيته"[١]. انتهى كلام الحضرة الرفاعية

وقال: العارف الشيخ أحمد الوتري قدس سره، في «روضة الناظرين»، "سئل والدي الشيخ العارف محمد الوتري[٢]قدس سره، من شيخه الغوث الجليل، سيدي سراج الدين الرفاعي[٣]رضي الله عنه، عن تصرف الأرواح بعد الموت، فقال: نحن أحمديون، وإمامنا الذي ندعى به في هذه الطريقة غداً -إن شاء الله- هو السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وهو حراسة لجانب التوحيد، لا يقول بتصرف الأحياء،

---

(١) «الحكم الرفاعية» صفحة (١٤).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة (٧٧)

ولا بتصرف الأموات، وإنما يقول بمعونة الله لمن توسل بأحباب الله"[1].

أقول: وقصدُهُ من قوله "لا يقول بتصرف الأحياء ولا بتصرف الأموات"، يريد بذلك ألا تصرف لحي ولا لميت إلا بتصريف الله تعالى له، إذ لا يمكن تصرف الحي أو الميت بنفسه.

ثم قال الوتري: "وبهذا يتساوى الأمر بشأن الأحياء والأموات، وبساط القدرة واحد، والفعال واحد، نعم هو عظَّم أحبابه وأوليائه، وصرفهم في الكائنات، وسخر لهم الذرات، وهو المحرك المسكن، الضار النافع، وهو على كل شيء قدير"[2]. انتهى ملخصاً

أقول: وهذه المعونة التي تحصل من حضرة الكرم الإلهي لأرواح الأولياء بعد الموت، كالمعونة التي تحدث للأحياء بالإرادة الجزئية، {قُل

(١) «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» صفحة (٣٧).

(٢) «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» صفحة (٣٧).

﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[1]، هذا ما عليه السلف من السادات الرفاعية وغيرهم من أئمة الأمة المحمدية -عطَّر الله مراقدهم-، وهو الأصل في مذهب أهل الكمال، الذين يعملون بأصول الشرع ولا ينحرفون عن طريق الصواب، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[2]آمين.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) [النساء: ٧٨].

(٢) [آل عمران: ٨].

فصلٌ

[الكلامُ في الشطح]

وأما جواز تدوين الشطحات المروية عن بعض المشايخ والقول بها وبوحدة الوجود المطلقة:

الجواب: نصَّ العارفون من السلف الصالح، أن الشطح: "هو التجاوز والتبجح والتزحزح من مكان إلى مكان آخر، وهو رعونة دعوى لا يحتملها القلب، فيلقيها إلى اللسان، فينطق بها لسان الأحمق"(١).

وقال آخرون: "بل هي من الزلات التي لا تصدر عن محقق أصلاً"(٢)، وقالوا: "الولي إذا كان حاله أكمل من مقامه، تصدُرُ منه الكلمات الزائدة والشطحات، ويغلبه الوجد فيطيش طيش المعجب"، وقالوا: "الشطح الذي يلفظ به أهل السُكْر من العارفين، هو كلام

(١) يراجع «التعريفات» للجرجاني صفحة (١٢٧)، «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» للوتري صفحة (١٦).

(٢) «الفتوحات المكية» (٤/ ٢٦).

صادر عن وجد وشوق، وشدّة غليان وعظم عشق"[1]، وهو في اللغة العربية الحركة، يقال: "شَطَحَ يَشْطَحُ، إذا تحرك"، ويقال للبيت الذي تحرز فيه الدقيق مشطاح، من كثرة ما يحركون فيه الدقيق[2]، فشطح العارفين مأخوذ من حركة أسرارهم، ولسان الشطح كيف كان هو من أسباب الوقيعة بصاحبه، وهو نقصٌ في مرتبة الولاية، وذلك بالنسبة إلى المتمكنين من الأولياء كمالٌ بالنسبة إلى غيرهم، لكن على شرط قبوله التأويل الحسن، فإن من الشطح ما يقبل التأويل، ومنه ما لا يقبل التأويل، فالشطح الذي يقبل التأويل إن كان عن حال صادق، لا يؤاخذ صاحبه، وإن كان عن حالة خالية فهو من الضلال المحض والعياذ بالله، والشطحات التي تصدر من أهل الأحوال الصادقة، لا تقدح في مقامهم ومنازلهم، ولكن لا يقتدى بهم فيها، ولا يصح أن تروى أو تدوّن، لأنَّ ذلك من مزالق الأقدام، والمتمكنون من أهل المقامات لا يصرفهم الحال إلى قول فوق التحدّث بالنعمة، وتراهم دائماً وقوفاً تحت لواء {إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) يراجع «اللمع» للطوسي صفحة (٣٧٥).

(٢) «اللمع» للطوسي صفحة (٣٧٥).

كَانَ عَلَيكُم رَقِيبا}[1]، فهم دائموا الخشية والخشوع، شغلهم الأدب لهُ والاشتغال به عن كل ما يطلعهم عليه من حوادث الأكوان، وهؤلاء أهل مرتبة العبودية ومقام العبدية، الذي هو أعلى مقامات المحبوبية، ودونهم غيرهم، كيف قال وإلى أين طال، هذا ما ذهب إليه أعيان العارفين من السلف المتقدمين، وعليه الكمّل من خواص المتأخرين، كما نص على ذلك الإمام العارف شهاب الدين السهروردي[2]والشيخ الجليل محي الدين ابن العربي الحاتمي[3]والإمام العسقلاني[4]والعارف

(١) [النساء:١].

(٢) الشيخ، الإمام، العالم، القدوة، الزاهد، العارف، المحدث، شيخ الإسلام، أَوحد الصوفية، شهاب الدين، أبو حفص، وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله، البكري، السُّهْرَوَرْدِيّ، الصوفي، ثم البغدادي. (٥٣٩هـ - ٦٣٢هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٢/ ٣٧٣).

(٣) محمد بن علي بن محمد، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره. (٥٦٠هـ - ٦٣٨هـ) «فوات الوفيات» (٣/ ٤٣٦).

(٤) ابن حجر شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية، بل حافظ الدنيا مطلقا، قاضي القضاة، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد =

الوتري[1] وخلائق.

قال الشيخ محي الدين في «الفتوحات» في باب الشطح: "وحاشا أهل الله أن يتميزوا عن الأمثال أو يفتخروا، ولهذا كان الشطح رعونة نفس، فإنه لا يصدر من محقق أصلاً، فإنَّ المحقق ما له مشهود سوى ربه"[2].

وقال في الباب المذكور: "فكل من شطح فعن غفلة شطح، وما رأينا ولا سمعنا عن ولي ظهر منه شطح لرعونة نفس وهو وليّ عند الله"[3].

وقال أيضاً: "الشطح كلمة صادقة، صادرة من رعونة نفس، عليها بقية طبع تشهد لصاحبها ببعده من الله في تلك الحال، وهذا القدر كاف

= بن محمد، العسقلاني، ثم المصري، الشافعي (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ) «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطي (١/ ٢٥١).

(١) تقدمت ترجمته في صفحة (٧٧)

(٢) «الفتوحات المكية» لابن عربي (٤/ ٢٦).

(٣) «الفتوحات المكية» لابن عربي (٤/ ٢٦).

في معرفة حال الشطح"[1]. انتهى كلامه

وقد ضل بقبول الشطحات قوم كثيرون، وابتلوا بالدعوى، وعمتهم البلوى والإنكار عليهم مما يجب شرعاً، ولكن تحت قاعدة مقررة، وهي أن كل كلمة أو عمل يصدر من مثل هؤلاء الجماعة القائلين بالشطحات المعتقدين لها، لك أيها المتصف، من دون ميل إلى غرضك وموافقة لطبعك، أن تضع ذلك القول أو العمل في ميزان الشرع، فإن قَبِلَهُ الشرع فهو مقبول، وإن ردَّه فهو مردود، ولك أن تحرم ما حرم الله، وتبغض فاعله انتصاراً لله، وأن تحل ما أحل الله وتحب فاعله لله، وأن تبيح ما أباح الله، وليس لك أن تدخل الحلال في الحرام تحكماً منك، وانتصاراً لنفسك، وانقياداً لنخوتك، ولا أن تدخل الحرام في الحلال، أو المباح في كليهما، وبهذه القاعدة تعرف من يؤاخذ من الشطّاحين، ومن يعذر ومن ينكر عليه، ومن يسلم له حاله ويجب عليك الانتصار لله بتطهير عقائد المسلمين، مما يدخله عليهم الزنادقة وأهل الغلو، من الأغلاط المضرة التي تضر بعقائدهم، والشطحات المذمومة، -هي كما

---

(١) «الفتوحات المكية» لابن عربي (٤/ ٢٤).

قررناها لك- التي تخرق سياج الشريعة، وتؤذي المسلمين في دينهم، إذا اعتقدوها كالكلمات التي تشتمل على حلول أو اتحاد، أو ما يماثل ذلك.

ومن الشطحات المذمومة أيضاً: الكلمات المؤذنة بالعجب والعلو على الأمثال، قال سيدنا ومولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه: "كلمتان ثلمتان في الدين، القول بالوحدة، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة"[1]، وملخص ما قيل في الكلمات التي تعد من التحدث بالنعمة إنها عبارة عن قول القائل: "أعطاني ربي من الخير كذا، ووهبني من المقامات كذا، وعلمني كذا"، ولكن لا يقول أنا خير منكم، أنا أفضل منكم، ولا يتجاوز الحد مع إخوانه، ولا يدعي القطع والوصل والاستبداد بالفعل، وقد أشار إلى ذلك أبو عبد الله، عمرو بن

(١) «الحكم الرفاعية» صفحة (٧).

عثمان المكي[1]، أحد أصحاب الإمام الجنيد[2]رضي الله عنهما، بقوله: "الحرية: التخلص من دعوى الفعل والقطع والوصل، وأهل العبودية المحضة قليل، وهم الأحرار الذين آمنوا من مصائب النفس، وسلموا من الأنانية الكاذبة، وتجردوا من علائق طباعهم، ووقفوا مع الحق وأخلصوا له، وأين هم ماتوا، رحمهم الله، والباقون منهم ألقوا أنفسهم في زوايا الإهمال، واتضعوا علماً بأن التواضع لا يفيد تجاه النفس الممتزجة بشاغلة الهوى، والضعة دواء هذا الداء، فلذلك عميت عنهم أبصار أهل النفوس فما رأوهم، وطمحت أبصارهم لأهل الدعوى، وشبيه الشيء منجذب إليه، والشكل بالشكل عارف"[3]. انتهى كلامه

---

(١) الإمام، الرباني، شيخ الصوفية، أبو عبد الله المَكي، الزاهد، عمرو بن عثمان، ابن كرب بن غصص، توفى بعد الثلاثمائة «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٣٨).

(٢) هو شيخ الصوفية، الجنيد ابن محمد بن الجنيد النهاونْدِي ثم البغدادي القوَارِيْرِيّ، والده الخزاز (٢٢٠هـ - ٢٩٨هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٤٣)، «تاريخ بغداد وذويله» للخطيب البغدادي (٧/ ٢٤٩).

(٣) «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين» للوتري صفحة (١٦).

وخلاصة ما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلي[1] رحمه الله، في «طبقات الحنابلة» فيما نقل عن حضرة القطب الجليل العارف بالله، الشيخ عبد القادر الجيلي، قدس الله سره، حسبما رواه الشطنوفي[2] في «بهجة الأسرار» أنه قال: "قدمي هذا على رقبة كل وليّ لله، إن هذا الكلام من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها، ولا تقدح في مقاماتهم ومنازلهم، فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ"[3].

قال الحافظ شيخ الإسلام أحمد، المعروف بابن حجر العسقلاني[4]رحمه الله، في «الدرر الكامنة»، حين ذكر الشطنوفي مؤلف «بهجة الأسرار، في مناقب الشيخ عبد القادر قدس الله سره»، "ذكر فيها غرائب وعجائب، وطعن الناس في كثير من حكاياته وأسانيده

(١) الإمام، الحافظ، المحدث، الفقيه، الواعظ، زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (٧٠٦هـ - ٧٩٥هـ) «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطي صفحة (٢٤٣).

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة (١١٢)

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي (٢/ ١٩٧).

(٤) تقدمت ترجمته في صفحة (١١٩)

فيها"[١].

قلت: ومن هذا يعلم، أنَّ الشيخ الجيلي، نفعنا الله بعلومه وبركاته، لم يقل هذه الكلمة ولا الكلمات المؤدنة بالعجب، والمعدودة من الشطح التي عزاها له صاحب «البهجة» وغيره من أرباب الغلو، والشيخ قدّس الله روحه مبرأ، بل ومحمي الساحة من كل ما يخالف ظاهر الشرع، وقد كان على جانب عظيم من العلم والعمل، والتمسك بالسنة، وهذا الظن به وبأمثاله من إخوانه الأولياء قدّس الله أرواحهم، ولا لوم إلا على من يدوّن الشطحات المنسوبة للأكابر من القوم، ويذهب بعقائد المسلمين كل مذهب، ويجعل القوم أهدافاً لسهام المعترضين، والذي أعتقده أن جميع ما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس على أئمة الطرق من قبل أصحاب الغلو والإفراط، وهم مبرؤون منه، وهذا الذي يلزم كل منصف يحفظ حرمات الأولياء، نفعنا الله ببركاتهم، ولله در القائل:

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ١٦٧).

لا تخضْ في سبِّ ساداتٍ مضَوْا   إنهم ليّسوا بأهلٍ للزَّللِ[1]

وللقوم رضي الله عنهم، أن يقول قائلهم ما قلتُهُ مرتجلاً:

حفظتُ لساني أن يقولَ ذميمةً   وما حيلتي فيمنْ عليَّ تقولا

وزبدةُ ما أقول: أنَّ الشطحات من حيث هي لا تدوّن، ولا يلزم القول بها ولا الاعتقاد بما تضمنته من الطامات، وفضول الكلام المنهي عنه شرعاً، ولنا أن نؤوّل ما يقبل التأويل حفظاً لمقامات القوم الأكابر، الذين ينسب لهم مثل هذه الأقاويل، ونقبل ما ظهر معناه الموافق لظاهر الشرع، وننكر صحة وقوع ما يخالف الشرع من الكلمات المعزوة إليهم وصدورها منهم رضي الله عنهم، على أنه لم يصل إلينا بأسانيد صحيحة مرضية تؤكدها شهادة العدول عن العدول، ولنا حمل المسلمين على

---

(١) البيت: من قصيدة «لامية ابن الوردي»، ومطلعها:

اعتزل ذكرَ الأغاني والغَزَلْ   وقل الفصلَ وجانب من هزَلْ

الصلاح والأدب مع القوم الكرام قدّست أرواحهم، ومن لم يرض إلا بإلزام القوم بهذه الكلمات، وإلزام الأمّة باعتقادها مع معارضتها لما كان عليه رسول الله ﷺ ، وأصحابه وأهل بيته رضي الله عنهم، من الأدب والكلام المرضي، والسيرة الحميدة، والوقوف عند الحدود، ولين الجانب، وعدم الترفع على أحد من الناس إلا بنص قرآني وأمر رباني، وحينئذٍ فما ذاك من الترفع بل من بيان الواقع، فإذاً قوله له وعليه، ونحن عن ذلك المجترئ وعن غلوه واجترائه بمعزل -إن شاء الله تعالى-، على أنَّ كتب السنة طافحة بتواضع النبي ﷺ، وتحمله وحسن معاملته للناس، واجتنابه وأصحابه الكرام فضول الكلام والتبجح، وأمره بإنزال الناس منازلهم، والحال هو سيد المخلوقين، وتاج النبيين، فمن عدل عن سيرته وخالف أمره تبعاً لهوى نفسه فهو من الضلال بمكان، كيف لا والله تعالى يقول: {فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(١)

(١) [النور: ٦٣].

هذا ملخص ما أقوله في الشطحات وتدوينها.

۞ ۞ ۞ ۞

فصلٌ

[الكلام في وحدة الوجود]

وأما القول بوحدة الوجود المطلقة:

فالجواب فيه: أنَّ القول بوحدة الوجود المطلقة، هو عبارة عن خيال لا حقيقة له، يحدثه الميل للأقوال الموهمة بالحلول[1] والاتحاد[2]، على الطريقة التي ذهب إليها بعض أهل الأهواء[3]، ونسبوها لجماعة من

---

(١) الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري: حالًا، والمسري فيه: محلًا. «التعريفات» للجرجاني صفحة (٩٢).

(٢) الاتحاد: هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدً، وقيل: الاتحاد: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا؛ «التعريفات» للجرجاني صفحة (٩).

(٣) الفلاسفة هم من قالوا بوحدة الوجود المطلقة، وقد نسب بعض الجهلة هذا المذهب لبعض اهل الله من السادة الصوفية، كسيدي ابن العربي، وسيدي ابن الفارض وغيرهم، وهم لم يفرقوا بين وحدة الوجود ووحدة الشهود =

أكابر الصوفية، فيتسع ذلك الخيال اتساعاً باطلاً صارفاً عن الحكمة العقلية، والمناهج الشرعية، ويساعد على تمكنه في خزانة الفكر لقلقة[1] بعض المتشدِّقة[2] بوجه ما أنزل الله به من سلطان، فيقول: "إذاً رب ذلك الزعم الفاسد والمذهب الباطل الكاسد، الله خالق الأشياء، وهو هي"، ويسقط ذلك الضال التكاليف، ويعطل أحكام الشرع، ويرى أنَّ هذا الكون المجتمع هو الله سبحانه، -تعالى الله عما يقولُ الظالمون علوّاً كبيراً-، وقد أنكر هذا المذهب الباطل أئمة الدين، وأشياخ المسلمين، وأولياء الله تعالى، وعلماء الأمة طبقة بعد طبقة، وقد أطبقوا كلهم على

= فوحدة الشهود أن تشهد المكون لا الكون، أن تشهد الخالق لا الخلق، أن تشهد المسبب لا السبب، فهذا عين ما جاء به القرآن الكريم والسنة السنية، وأما وحدة الوجود: فهو مذهب فلسفي كفري باطل، كما ستعرف من كلام المؤلف قدس سره.

(١) اللقلقة: إعجال الإنسان لسانه حتى لا ينطبق على أوفاز ولا يثبت. «تاج العروس» للزبيدي (٢٦/ ٣٦٣) مادة: (ل ق ق).

(٢) يقال: هو متشدق في منطقه: إذا كان يتوسع فيه ويتفيهق. «لسان العرب» لجمال الدين ابن منظور (١٠/ ١٧٣) مادة:(شَدَقَ).

تكفير معتقد هذا القول السقيم بلا نزاع.

وقد كان العارف ابن حنيف[1] قدّس الله روحه، يبرئ الحلاج[2] مما ينسب إليه من الكلمات المشعرة بالحلول والاتحاد، ومع ذلك أنشد بعضهم البيتين المنسوبين للحلاج عنده وهما:

سبحانَ من أظهرَ ناسوتَهُ سرَّ سنا لاهوتِهِ الثاقِبِ
ثُمَّ بدا في خلقِهِ ظاهراً في صورة الآكلِ والشَّاربِ

فقال الشيخ كلمات عجيبة: "لعن الله قائلها ومعتقدها"[3]، فانظر كيف

---

(١) الشيخ، الإمام، العارف، الفقيه، القدوة، ذو الفنون، أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، شيخ الصوفية. (٢٧٦هـ - ٣٧١هـ) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/ ٣٤٥)، وقال في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: محمد ابن حنيف الشيرازي (٨/ ٣٥٢).

(٢) الزاهد المشهور، يكنى أبا مغيث، الحسين بن منصور الحلاج، «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٤٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣٢٥)، والخبر بطوله في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٨/ ٧٠٥)، وفي «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ١٣٤).

لعن قائل هذه الكلمات ومعتقدها، حالة كونه يبرئ الحلاج من القول بمثل هذه الأقوال.

وقد نقل الإمام الوتري[1] رحمه الله، في «مناقب الصالحين» أنَّ الشيخ علياً بن محمد الديلمي[2] سأل من الشيخ ابن حنيف عن الحلاج، فقال: "أعتقد فيه أنه رجل من المسلمين".

وقال: "فمن هذا يعلم أنَّ اعتقاده عدم صحة ما نسب إليه من الكلمات المكفرة، وأنها مدسوسة عليه وهذا ما يجب اعتقاده".

قال الوتري: "ويا حبذا إن صح هذا، فإن مقصود كل عبد مسلم طاهر القلب، حماية دين إخوانه المسلمين". انتهى

ولا ريب، فإن ما يحصل للعارفين حالة الفناء في محبة الله، والاستغراق بذكره حتى تغيب مداركهم، وتنطمس شواهدهم عن الأغيار، بل وعن ذواتهم، فتصدر على ألسنتهم كلمات من مشرب ذلك

---

(١) تقدمت ترجمته في صفحة (٧٧)

(٢) لم أجد له ترجمة.

المقام عند محوهم وسكرهم، ومتى صحوا أنكروها، واستغفروا الله، فذلك كلام معفوٌّ عنه، ككلام من جنَّ أو خمر أو غلا دمه، أو أغشي عليه، وهذا مقام عين ما قاله القائل:

عجِبتُ مِنْكَ ومني أفنيتني بكَ عني
أدنيتني منكَ حتى ظننّتُ أنكَ أَنْي[1]

ومنه قول شيخ الطائفتين، الإمام الجنيد[2] رضي الله عنه:

رقّ الزجاجُ ورقَّتِ الخمرُ فتشابها وتشاكلَ الأَمْرُ
فكأنما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

وهذا الذي غلط به جماعة فظنوه من القول بالوحدة المطلقة، فضلوا وأضلوا، وما رأينا من كلام العارفين بالله حقاً ولا من كلام العلماء الأئمة، -الذين ينطقون بالحق، ولا تهشهم الأهوية-، ما يوهم معاني

(١) نسبوا هذه الأبيات للحلاج، ومنهم نسبها للإمام الشبلي رضي الله عنه.

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة (١٢٣)

الحلول والاتحاد، بل كلهم على قدمٍ عظيمٍ من الوقوف مع الكتاب والسنة، كالجبال الراسية، امتثالاً لقوله تعالى {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ}[1].

وحَسَنٌ ما نقله الإمام، الشيخ أحمد الوتري في كتابه «مناقب الصالحين» عن شيخه القطب الفرد الشيخ، السيد سراج الدين الرفاعي[2]رضي الله عنهما، مما يهدم منار هذا المذهب الباطل، أعني مذهب وحدة الوجود المطلقة قوله رضي الله عنه: "هذا الوجود وجوده بوجوده معين، والأحكام التكليفية لاحقة لعالم الوجود، وتزول عن الموجود بزواله، فما دام موجوداً فهو غير معدوم، ومتى انعدم فهو غير موجود، وهذا الفرق بين الحادث والقديم، فإن القديم لا يزول ولا يحول، والحادث يوجده الأمر ويتبعه التكليف بعده، ويعدمه الأمر ويسقط عنه التكليف بعده، فإذا وجد فحدوثه الوجود، وإذا انعدم فحدوثه العدم، أي عالم حدثه العدم ويتقلب حدثه في عالم العدم على

---

(١) [الحشر: ٧].

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة (٧٨)

مقتضى الإرادة الأزلية فيه، وهكذا الأشياء الغير مكلَّفة فإنها تقوم معها أحكام الوجود كما يقتضي لها بنسبة شأن وجودها، وكأنَّ تلك الأحكام قامت مقام أحكام التكليف في الإنسان، ومتى زالت الأشياء، زالت عنها أحكام وجودها، {فَٱعتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلأَبصَٰرِ}(١)". انتهى

وهذا ردٌّ قاطعٌ لما تقوله أرباب الأهواء، وما كل ما أحدثوه من الأقوال الفاسدة، والعقائد الزائغة، إلا من موضوعات أصحاب المذاهب الباطلة، والقول بها كفرٌ بحتٌ لا يقبل التأويل.

نعم، أَوَّلَ البعضُ بعض هذه الكلمات المشوبة بالحلول والاتحاد، وتكلفوا فوضعوا لها تقديرات، وأطالوا الكلام بإصلاح ما فسد من معانيها السقيمة، وكان ذلك عن حسن نية منهم -جزاهم الله خيراً- يريدون الإصلاح، ولكن، هل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟ ومع ذلك فما الموجب لتدوين كلمات يخالف ظاهر سبكها باطن مضمونها، فإن كان القصد ما أوله المؤوّلون فلِمَ الإيهام بسبكها الآخذ بأذهان

---

(١) [الحشر:٢].

العامة إلى المزلقة؟ وإن كان القصد ما ظهر منها فهو من أقبح المحدثات الهادمة للعقائد الإسلامية، وعلى كلا الحالين فتدوينها غير جائز، والقول بها ولو على طريق التأويل والتكلف لتأويلها، من الاشتغال بما لا يعني، على أن العلم بها والجهل على حد سواء، وما هي من ضروريات الدين، وأما القائلون بالوحدة المطلقة، والمعتقدون لها بلا تأويل!، فهم أشدُّ من الكفار، وأسوأ اعتقاداً من المثلثة[1]، وأين المثلث ممن يجعل الذرات المخلوقة كلها آلهة؟

وأظن أنَّ من تكلف فأوّل جزم أن بعض الكلمات المروية عن ألسنة بعض أكابر القوم، قد صدرت منهم البتة، ومتى وجدنا مخرجاً للمسلم من التكفير يلزمنا أن لا نقول بكفره، فباعتبار هذه القاعدة ساقهم الورع والغيرة على أولئك الكبراء العظماء، لكيلا ينسب إليهم الكفر، فأوّلوا الكلمات المنسوبة إليهم، والذي أراه أنَّ الأحسن إنكار نسبة الكلمات الفاسدة للكبار من مشايخ الأمة، بل وهو الأولى عقلاً وشرعاً، لأنها لم تثبت عندنا على الوجه الشرعي المرعي أنها صدرت

(١) لعله يشير الى النصارى الذين قالوا [إن الله ثالث ثلاثة]، والله أعلم.

منهم، وماتوا على القول بها لنتكلف لتأويلها حفظاً لمقاماتهم العلية، وإمكان الدس ظاهرٌ، وقد تجرأ قوم فوضعوا أحاديث كاذبة وتقوّلوا على المصطفى ﷺ، وقد أفرد للموضوعات جماعةٌ من علماء الدين، وطهروا ساحة الشريعة الغراء مما دس فيها، فعلى هذا بالأولى أن يتجرأ أرباب الأهواء على الأولياء والعرفاء، بإسناد ما لا يصدر منهم إليهم.

وقد نص العارف الشعراني[١]وغيره، أن يهودياً دسَّ في كتب الشيخ محي الدين ابن العربي الحاتمي، قدس سره، أقوالاً كثيرة[٢]، وكذلك وقع لكثير من العلماء والصالحين، فإن الله ابتلاهم بجماعة من أهل الغواية كدّروا مشارب طرقهم، ودسوا عليهم في كتبهم، ونقلوا عنهم ما لم يصدر منهم، والفاصل الفارق بين الحق والباطل عندنا، إنما هو كتاب الله تعالى، وسنة المصطفى ﷺ ، وقد خدم سنته السنية –أيد الله برهانها– أعلام الأمّة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين،

---

(١) من علماء المتصوفين، أبو محمد، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، (٨٩٨هـ - ٩٧٣هـ) «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٨٠).

(٢) «اليواقيت والجواهر» للشعراني (١/ ٢٣).

والعلماء العاملين والسادات العارفين، فهي محجة بيضاء لا ضلال بعدها.

ومن هذه التفصيلات يعلم أنَّ البعض من القوم، حالة انكشاف العوالم لهم واصطلام الحال عليهم، يرتاحون ويخطفهم الإدلال وسكر الحال للقيل والقال، فتصدر على ألسنتهم في بروز سلطان الحال لهم كلمات تؤذن بالعجب والترفع على الأمثال، بل وعلى من هو أعلى منهم منزلة وأعظم مقاماً، كما صرح بذلك العارف ابن العربي والإمام الشعراني وغير واحد، والمتمكنون يشرف مقام تمكنهم عن ذلك لعلوّ مراتبهم، ولكونهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من منزلة المقام لا من منزلة الحال، وأن طور المقام التمكُّن وطور الحال العربدة، وحسن أن يقال في المتمكن:

أطاعَهُ سكرُهُ حتى تمكنَ مِنْ   حالِ الصُّحاةِ وهذا أعظمُ النَّاسِ[1]

(١) عزاه الألوسي في تفسيره «روح المعاني» لأبن الجوزي رحمه الله تعالى (٣/ ٣٣٦).

ولنا الفخر ولله علينا الحمد والشكر، على أن هذا المقام الرفيع، والمحل المنيع، والتمكن الثابت في ذروة الصدّيقية، والقدم الراسخ في قمة مرتبة العبدية، من خصائل شيخنا، وسيدنا، وملاذنا، الغوث الأكبر، والقطب الأشهر، بركة الوجود، وإمام أهل الشهود، السيد أحمد محي الدين الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنا به.

ومن تشرف بمطالعة حكمه الشريفة، وكتبه الجليلة المنيفة، يعلم علماً يقيناً لا يصادفه شك، أنه تبوّأ من هذه الساحة القعساء أرفعها، ومن تلك البحبوحة الشامخة أمنعها، جعلنا الله والمحبين من حزبه وأنصاره الممدودين باتباعه ببركات أسراره آمين.

وأما الذين صرعهم الوهم فانتحلوا لهم مذاهب سموها وحدة الوجود المطلقة، والاتحاد والحلول التنزُّلي، وأمثال ذلك، أيدوها بآرائهم السقيمة، صادموا فيها كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فهم في وهدة الخزي والخذلان، بل وفي حضيض القطيعة والحرمان، نسأل الله العفو والعافية، ونتوسل بجاهه ﷺ إلى الله تعالى، أن يسلك بنا الطريق المستقيم، وأن يجعلنا من عباده الذين لا يصرفهم عن امتثال

أوامره صارف الأهواء، إنه البر الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁ ❁

[خاتمةٌ]

يقول مؤلفها كان الله له، تمت ونجز بفضل الله جمعها، في غرة رجب المبارك، أحد شهور سنة ست وثلاثمائة وألف، من هجرة صاحب المجد والعزة والشرف ﷺ، على يد مؤلفها غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.

قد تم بعون العليم الخبير، طبع هذا الكتاب البهيج النضير، المسمى «نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف»، تأليف فرع سلالة آل الرسول، صفوة بني الزهراء البتول، من فضائله يقصر عنها إنشائي واختراعي، حضرة السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي الرفاعي أطال الله بقاه، وأدام مجده وعلاه.

هذا وكان المباشِر لطبعِه وإذاعة نفعه، الحسيب النسيب السيد محمد العبيسي الرفاعي[1] حفظه الله، وقد أشرق تمام هذا التمثيل، في هذا

(١) الشيخ محمد ابن السيد مصطفى العبيسي، الحموي أصلا ومولدا ومنشأ، الحلبي موطنا ووفاة، وليَ إفتاءَ حلب، في سنة (١٣٠٩هـ)، =

الشكل الجميل، الذي من نظر إلى حسنه اكتفى، بمطبعة محمد أفندي مصطفى، في أواخر شهر شعبان سنة (١٣٠٦) من هجرة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وعلى أصحابه، وعلى كل من انتمى لجنابه.

❁ ❁ ❁ ❁

= عيَّنَه السيد أبو الهدى الصيادي وكيلاً لمشيخة تكيته في حلب، مات سنة (١٣٤١هـ) «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٧/ ٥٨٦).

يقول المحقق -غفر الله له ولوالديه ولمشايخه- قد انتهيت من تحقيق وتخريج هذا الكتاب المبارك، مستعيناً بالله تعالى، ومتوكلاً عليه، في صباح يوم الأحد ٢٢/ شعبان/ ١٤٤٢هـ

الموافق رومياً: ٤/ ٤/ ٢٠٢١م.

في مدينة إسطنبول – حماها الله وحرسها وادخل الإيمان في قلوب أهلها وسكانها.

واسأله سبحانه القبول، وحسن الجوار والختام في مدينة سيدنا الرسول ﷺ، وأن يجعلنا من أهل القبول والوصول، آمين يار أرحم الراحمين.

المصادر والمراجع

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق البيطار الدمشقي، نشر: دار صادر- بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجوزي نشر: مكتبة ابن تيمية.
- المعجم الوسيط، نشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، نشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.
- المعجم الكبير، للطبراني، نشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
- سير أعلام النبلاء للذهبي: طبعة مؤسسة الرسالة.
- شعب الإيمان - للبيهقي، نشر: مكتبة الرشد- الرياض.

- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، لابن الجوزي – نشر: دار الحديث.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، لتقي الدين السبكي نشر: دار الكتب العلمية.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر نشر: دار الفكر.
- دلائل النبوة، للبيهقي نشر: دار الكتب العلمية.
- المعجم الصغير، للطبراني، نشر: المكتبة الإسلامية –دار عمان، بيروت، عمان.
- معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح نشر: دار الفكر.
- مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي نشر: المكتبة العصرية.
- سنن الترمذي نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

- مسند الإمام أحمد، نشر: مؤسسة الرسالة.
- صحيح ابن خزيمة، نشر: المكتبة الإسلامية – بيروت.
- تراجم منمنمات، للشيخ عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي نشر: دار الحديث –القاهرة– مصر.
- حياة الحيوان الكبرى، للدميري نشر: دار الكتب العلمية .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي نشر: دار مكتبة الحياة.
- المعجم الأوسط، للطبراني نشر: دار الحرمين– القاهرة.
- عمل اليوم والليلة، لابن السني نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة / بيروت
- البداية والنهاية، لابن كثير نشر: دار الفكر.

- الأعلام، للزركلي نشر: دار العلم للملايين.

- النفحات المسكية في السلالة الرفاعية: نسخة حجرية.

- الوافي بالوفيات، للصفدي نشر: دار إحياء التراث-بيروت.

- العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية، لأحمد عزت باشا: نسخة حجرية.

- تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الإحياء التراث العربي.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر: مؤسسة الرسالة.

- سنن أبي داود، نشر: المكتبة العصرية.

- تاريخ بغداد للخطيب، البغدادي نشر: دار الغرب الإسلامي.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند.

- خلاصة الإكسير في نسب الغوث الرفاعي الكبير، لأبي الحسن الواسطي.
- حسن التنبه لما ورد في التشبه، لنجم الدين الغزي نشر: دار النوادر.
- معجم اللغة العربية، المعاصرة نشر: عالم الكتب.
- المعجم الوسيط، نشر: دار الدعوة.
- تاج العروس، لمرتضى الزبيدي نشر: دار الهداية.
- صحيح البخاري، نشر: الطبعة السلطانية.
- صحيح مسلم، نشر: دار إحياء الكتب العربية.
- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني نشر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، للحصكفي

نشر: دار الكتب العلمية.

- صحيح ابن حبان، نشر: مؤسسة الرسالة.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، نشر: دار الكتب العلمية.
- الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي نشر: دار المنهاج.
- بغية الوعاة، للسيوطي نشر: المكتبة العصرية.
- الحكم الرفاعية: نسخة الحجرية.
- روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، للوتري نسخة حجرية.
- تاريخ بغداد وذيله، للخطيب البغدادي نشر: دار الكتب العلمية
- رفع الباس عن بني العباس، للسيوطي دار الغرب الإسلامي.
- إحياء علوم الدين، للغزالي نشر: دار المعرفة.

- الفتوحات المكية، لابن عربي نشر: دار الكتب العلمية.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي نشر: مكتبة العبيكان - الرياض.
- التعريفات، للجرجاني نشر: دار الكتب العلمية.
- اليواقيت والجواهر، للشعراني نشر: دار إحياء التراث العربي.
- البرهان المؤيد، تحقيق عبد الغني نكه مي.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي نشر: دار الكتب العلمية.
- سنن ابن ماجه، نشر: دار احياء الكتب العربية.
- المستدرك للحاكم، نشر: دار الكتب العلمية.
- العين للفراهيدي، نشر: دار ومكتبة الهلال.

❁ ❁ ❁ ❁

الفهرس

❁ ❁ ❁ ❁